جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

أدوات التشكيل الفني في رواية (شآبيب) للكاتب أحمد خالد توفيق دراسة تحليلية

إعداد

د/ محمد صبحي عبد الفتاح الجمّال
أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات بدسوق

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)
(الجزء الثاني (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة(ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

أدوات التشكيل الفني في رواية (شآبيب) للكاتب أحمد خالد توفيق
دراسة تحليلية

محمد صبحي عبد الفتاح الجمّال

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، دسوق، كفر الشيخ ، مصر.

البريد الإلكتروني: muhamadaljmmal@gmail.com

الملخص:

رواية شآبيب من الروايات التي تتجلى فيها أدوات التشكيل الفني للكاتب أحمد خالد توفيق، وتتلخص الرواية في البحث عن وطن يضم الأقليات العربية المضطهدة في شتى بقاع الأرض، وتعد العتبات أظهر المداخل إلى عالم الرواية نظرا للترابط الشديد والالتحام التام بين العتبات والمتن الروائي سواء في ذلك العنوان والغلاف والمقتبسات النصّية، وتضم الرواية حشدا من الشخصيات والنماذج البشرية التي وقعت فريسة للاضطهاد والعنصرية سواء في ذلك مكرم ميخائيل الذي يقيم في أمريكا، وسليم في مونروفيا، وأمينة في النرويج، ومحمد عدنان في مصر، إلى غير ذلك من الشخصيات التي نجح الكاتب في الكشف عن أبعادها المختلفة بطريقة غير مباشرة ومن ثم لا يستطيع القارئ تكوين صورة كاملة عنها إلا بعد الفراغ من قراءة الرواية، يعد عنصر الزمن من العناصر التي أدت دورًا مهمًا في التعبير عن الرؤية الفنية للكاتب سواء من حيث الزمن الروائي وما يكتنفه من تقنيات فنية كالاسترجاع والاستباق أو الزمن التاريخي وما يحفل به من الإثارة والتشويق، وإذا كان المكان عنصرا من عناصر الرواية فهو في (شآبيب) محور من محاورها الأساسية، فالرواية تقوم في الأساس على متخيل مكاني يتمثل في وطن بأكمله، وقد حرص الكاتب أن يحشد له المقومات التي تجعل منه عالما يموج بالحياة والأحداث ويتفنن في أساليب تقديم المكان وسرد حكاياته وتصوير دقائقه وتفاصيله، ولقد تنوعت مستويات اللغة

السردية بين التقريرية والتصويرية والتعبيرية والمرجعية، أما أنماط السرد فقد اعتمد الكاتب اعتمادا كبيرا على السرد بضمير الغائب حيث يقف الراوي كلي العلم خلف الأحداث والشخصيات يوجهها نحو مصائرها مع التوظيف البارع لعدد من التقنيات السردية كالحلم والمنولوج، أما الرافد الثاني من روافد اللغة السردية فهو الحوار الذي يعبر عن مشاعر الشخصيات ويكشف عن خباياها النفسية ومستوياتها الثقافية.

الكلمات المفتاحية: أحمد خالد توفيق ، التشكيل الفني ، شآبيب.

Artistic composition tools in the novel (Shabeeb) by Ahmed Khaled Tawfiq, an analytical study

Muhammad Sobhi Abdel Fattah El-Gammal

Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arab Studies for Boys, Al-Azhar University, Desouk, Kafr El-Sheikh, Egypt.

Email: *muhamadaljmmal@gmail.com*

Abstract

Shabib's novel is one of the novels in which the artistic formation tools of the writer Ahmed Khaled Tawfiq are evident. The novel is summarized in the search for a homeland that includes oppressed Arab minorities in various parts of the earth. Thresholds are considered to be the clearest access to the field of novel because of the great coherence and the complete cohesion between thresholds and the text quotes of the novel including the title ,the cover and the text quotes .The novel includes a crowd of human characters and models that have fallen prey to persecution and racism, including Makram Michael who resides in America, Salim in Monrovia, Amina in Norway, and Muhammad Adnan in Egypt, and many other characters that have melted within the framework of the general idea of the novel.The writer succeeded in revealing its various dimensions indirectly. In addition to the element of time that played an important role in expressing the artistic vision of the writer, whether in terms of narrative time and its artistic techniques such as retrieval and anticipation, or in terms of historical time and its excitement and suspense. If the place is an essential element in the works of fiction, then in (Shabib) it is one of its main axes.The novel is mainly based on a spatial imaginary represented in an entire homeland, and the writer was keen to include the elements that make it a world full of life and events. The levels of narration varied between declarative, pictorial, expressive and reference language. As for the narration patterns, the writer relied heavily on narration in the third person, where The omniscient narrator stands behind the events and the characters and directs them towards

their destinies with the skillful use of a number of narrative techniques such as the dream and the monologue. The second source of the narrative language is the dialogue that expresses the feelings of the characters and reveals their psychological secrets.

Keywords*: Ahmed Khaled Tawfiq , Shabib , Art Formation***.**

تقديـم

القصة فن من الفنون المتجذرة في النفس البشرية منذ الأعصر القديمة حتى عصرنا الحاضر؛ لذا كانت حفاوة المصلحين بهذا الفن الخالد وحرصهم على توظيفه والإفادة منه في تأسيس الأجيال وبناء الأمم، وحسبي دليلًا على ذلك اقتدار الكاتب أحمد خالد توفيق على تناول القضايا المعاصرة وقدرته على توجيه القارئين وجهة إيجابية بعيدًا عن الأفكار السلبية والدعوات الهدَّامة، وتكفي الإشارة إلى العبارة الخالدة التي قيلت في تأبينه "جعل الشباب يقرءون"، وأهم من ذلك وأجدر بالتسجيل أنه سلك في كتاباته مسلكًا فريدا ونجح في بناء عالم روائي يتكئ على قراءة الواقع واستشراف المستقبل برغم مسلكه الخيالي ومحاولاته المستمرة للبحث عن المجتمع المثالي أو ما يعبر عنه باليوتوبيا.

وتعد رواية (شآبيب) محورا لاهتمام الكاتب بنشر الوعي ومعالجة القضايا الاجتماعية وإن تعمد تصوير الواقع المؤلم والأوضاع البائسة، ومن ثم يمكن القول بأنه إذا كانت روايته الأثيرة (يوتوبيا) تنتمي إلى تصوير المدينة الفاضلة، فإن رواية (شآبيب) تنتمي إلى أدب المدينة الفاسدة أو ما يسمى (الديستوبيا)، كما تعد الرواية امتدادًا لرواية أخرى هي (وعد جوناثان) وكلتاهما تنشدان البحث عن حلول للأزمات التي تواجهها الأقليات العربية في شتى بقاع الأرض.

أما الدراسات السابقة فلقد حظي نتاج أحمد خالد توفيق بحفاوة عدد كبير من الباحثين وإن استأثرت رواية يوتوبيا بالأعم الأغلب من تلك البحوث ومنها:

- ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق عرض وتحليل للباحث محمود أبو زهرة.
- رؤية الواقع وأثرها في بناء الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق دراسة تحليلية نقدية للباحث منتصر صديق.
- عتبات النص، قراءة في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، للباحثة إيمان بسيوني.

- الفانتازيا: آليات السرد والتشكيل في روايتي يوتوبيا لـ (توماس مور) وأحمد خالد توفيق دراسة نقدية مقارنة للباحثة هانم محمد حجازي.
- الرؤية التنبؤية للشتات العربي في رواية شآبيب لأحمد خالد توفيق، مقال صحفي للباحث محمود سمير بن جالون بتاريخ ٨ يونية سنة ٢٠٢١م
- جمالية الفضاء الروائي في رواية شآبيب لأحمد خالد توفيق، للباحثين الجزائريين: آمنة بلخضر وعلي مرابط بتاريخ ٢٠٢٠ وهي دراسة تتخذ من المكان دون سواه من العناصر السردية منطلقا رئيسا ومحورا أساسيا.

لذا فقد آثرت أن أسلط الضوء على أدوات التشكيل الفني في تلك الرواية المهمة وتتبع عناصرها بالدرس والتحليل لا سيما أنها آخر أعمال أحمد خالد توفيق التي فازت بجائزة أفضل كتاب عام ٢٠١٨م، وأهم من ذلك أنها تعبر عن اهتمام الكاتب بالقضايا الكبرى وحرصه على البحث عن حلول للأزمات التي تواجهها الأمة.

أما منهج البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي نظرا لما يتسم به من الدقة والموضوعية مع الاستعانة بعدد من المناهج التي تتآزر مع هذا المنهج والتي اقتضتها طبيعة الدراسة كالمنهج التاريخي والمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة:

التمهيد: رواية شآبيب إطارا ورؤية.

المبحث الأول: عتبات النص.

المبحث الثاني: الشخصيات.

المبحث الثالث: الزمن.

المبحث الرابع: المكان.

المبحث الخامس: اللغة والأسلوب.

مستمدًا من الله العون في كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبِه وسلم.

التمهيد

رواية شآبيب إطارا ورؤية

تنتمي رواية شآبيب للكاتب أحمد خالد توفيق(*) إلى أدب الديستوبيا ويقصد به: أدب المدينة الفاسدة الذي يهتم بنقد الواقع ورصد السلبيات تمهيدا للوصول إلى عالم أفضل، "والديستوبيا كلمة مأخوذة من اليونانية بمعنى المكان الخبيث، وأدب المدينة الفاسدة هو أدب مجتمع خيالي أو واقعي فاسد مخيف أو غير مرغوب فيه

(*) أحمد خالد توفيق (١٠/٦/ ١٩٦٢. ٢/٤/٢٠١٨) طبيب وكاتب ومؤلف ومترجم مصري لُقب بـ «العرّاب» ويُعد أول كاتب عربي في مجال أدب الرعب والأشهر في مجال أدب الشباب والفنتازيا والخيال العلمي، ولد بمدينة طنطا في محافظة الغربية وتخرج في كلية الطب جامعة طنطا عام ١٩٨٥ وحصل على الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام١٩٩٧، التحق بهيئة التدريس في قسم أمراض الباطنة المتوطنة، ألف أحمد خالد توفيق روايات حققت نجاحًا جماهيريًا واسعًا، وأشهرها رواية يوتوبيا عام ٢٠٠٨، وكذلك رواية السنجة التي صدرت عام ٢٠١٢، ورواية مثل إيكاروس عام ٢٠١٥ ثم رواية في ممرّ الفئران التي صدرت عام ٢٠١٦، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى مثل: قصاصات قابلة للحرق، وعقل بلا جسد، والآن نفتح الصندوق التي صُدرت في ثلاثة أجزاء، وشآبيب التي صدرت عام ٢٠١٨ عن دار الشروق، وهي معالجة من روايته: (وعد جوناثان)، ترك للمكتبة العربية عددًا من الروايات والكتابات النقدية المهمة، وكان أحد أبرز كتّاب قصص الشباب في الوطن العربي التي تتميز بأسلوبها الممتع والمشوق مما أكسبه قاعدة كبيرة من الجمهور والقراء، اشتهر أيضًا بالكتابات الصحفية، كان له أيضًا نشاط في الترجمة، فنشر سلسلة رجفة الخوف، وهي روايات رعب مُترجمة، وكذلك ترجم رواية نادي القتال الشهيرة وهي من تأليف تشاك بولانيك، وكذلك ترجمة رواية ديرمافوريا عام٢٠١٠، وترجمة رواية عداء الطائرة الورقية عام٢٠١٢، وترجمة تشي جيفارا: سيرة مصورة عام ٢٠١٨، استمر نشاطه الأدبي مع مزاولته مهنة الطب حتى توفي في٢ أبريل ٢٠١٨ عن عمر يناهز ٥٥ عامًا على أثر أزمة صحية مفاجئة، ينظر: موقع مصراوي الإثنين ٢إبريل ٢٠١٨ أحمد خالد توفيق في سطور.

يقع في المستقبل التأملي ويتميز بتجرد الإنسان من الإنسانية والمجتمع الذي يعاني من الفقر والتلوث والانهيار المجتمعي"[١] .

وتتناول الرواية صور الاضطهاد التي تتعرض لها الأقليات العربية في دول العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سواء في ذلك الأقليات في أفريقيا وأوروبا وأستراليا وأمريكا، ولقد تنوعت صور الاضطهاد بين العنصرية الفجة والتحرش البغيض والمواجهات الدامية، ولقد أوحت تلك الأوضاع البائسة إلى الدكتور مكرم ميخائيل ـ وهو عربي يعمل أستاذًا للعلوم السياسية بإحدى الجامعات الأمريكية ويتمتع بعلاقات وطيدة مع نائب الرئيس الأمريكي ـ بفكرة تتلخص في نقل شآبيب العرب وجموع المضطهدين إلى منطقة من العالم تكون وطنًا قوميًّا لهم، وهي فكرة مستوحاة من قضية البحث عن وطن قومي لليهود، "لقد قامت أوروبا بدعوة اليهود من كل العالم إلى الاحتشاد في فلسطين، هكذا كانت الفائدة ثلاثية تخلصت من إزعاجهم وأنقذتهم من

الإبادة واعتذرت بشكل ما عن مذابح النازيين، إذن ما أتحدث عنه هو وطن قومي يجمع العرب جميعا، هكذا تنقذهم من الاضطهاد وتريح العالم منهم ما دام يعتبرهم كائنات سامة"[٢].

واقتضت تلك الفكرة البحث عن مكان يكون شاهدًا على ميلاد الوطن الجديد الذي اختار له الكاتب اسم (شآبيب) كما اختار له منطقة (بابوا الجديدة) بالقرب من أستراليا،

"صاح جوناثان في استنكار:

---

(١) ينظر: الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة (المدينة الفاسدة)، قراءة في رواية ممر الفئران، مجدولين المساعفة ، جرش للبحوث والدراسات المجلد ٢٣العدد٢١٧٣،٢٠٢٢،٢

(٢) شآبيب، دار الشروق ط الثالثة١٤٠،٢٠١٩

لا تقل لي إنك تنوي وضعهم في أستراليا

قال مكرم على الفور:

لا بل شمال أستراليا .. غينيا الجدِيدة في قلب المحيط الهادي

بعبارة أخرى: هي جزيرة في غينيا جديدة، هذا مجتمع بدائي بكر.. موارد غير مستغلة.. لا توجد حضارة تقريبا.. هذا هو وطننا المختار"[١]

وقد عمل مكرم على بث روح الانتماء لدى المهاجرين من العرب عن طريق تزييف التاريخ تارة، ومحاولة إثبات الوجود العربي في هذه البقعة منذ القدم تارة أخرى[٢]، كما تطلب الأمر سعى مكرم ميخائيل للحصول على مباركة أمريكا والعمل على نقل جموع المهاجرين من شتى البقاع وتوفير مقومات الحياة لهم.

وهكذا يقترب الحلم من التحقق لكن العقبات حالت دون الوصول إلى هذه الغاية، ولعل أظهر تلك العقبات هو الصراع بين العرب المهاجرين وسكان البلاد الأصليين من جهة، والصراع بين العرب أنفسهم من جهة أخرى، "الأيام التالية كانت قاسية... فوضى لها خليط من الأسباب بدأت تنشب في المستعمرة...لم يعد الجميع على قلب رجل واحد كما كانوا، المتشككون... المتعصبون... غلاة الأصوليين...غلاة العروبيين...البائسون...المجانين..."[٣].

أضف إلى تلك العقبات ثوران البركان الضخم المسمى جاواتامي "كأنما شاءت الجيولوجيا أن تعبر عن كل هذا الاضطراب والارتباك والتشاحن، عندما تتزلزل الأرض تحت الأقدام، فهذا ليس مجازا، إنها الحقيقة عندما يفعم الغل الصدور؛ فإن هذا ليس مجازا، الدخان الأخضر يتسرب للرئات ويحرق العيون، عندما بدأت

---

(١) شآبيب ١٤٢

(٢) ينظر: السابق ٢٧٠

(٣) السابق ٣١٦

الاهتزازات الطفيفة في الأرض تحت الأقدام توتر الجميع، ووقفوا يتبادلون النظرات، عملاق غاف تحت الأرض يرى كوابيس مزعجة، ويحك رأسه منذرا بالنهوض)[1]

وهكذا تستحيل الحياة في الوطن الجديد وينهار الحلم ويعود المهاجرون، والكاتب في هذه الرواية يمزج بين الواقع الملموس والمتخيل النابع من توجهاته وأفكاره، ولئن أردنا تصنيفا لهذه الرواية فإنها تقترب من أدب الرعب نظرا لطغيان العنف والقتل ونظائرهما من الأفعال الوحشية.

(١) شآبيب ٣١٦، ٣١٧

المبحث الأول: عتبات النص

تعد العتبات أظهر المداخل التي يلج منها المتلقي نحو العالم الروائي لأنها تظهرنا على المقاصد الفنية للكاتب وتوجز كثيرا من معالم الرؤية القصصية للكاتب نظرًا للترابط الشديد والالتحام التام بين العتبات والمتن الروائي.

والعتبات هي" مجموعة من النوافذ والتنبيهات والخادمات والإضاءات التي تؤدي إلى نتائج حتمية نتيجة التلاقح بينها وبين النص"(١).

وقد حظيت دراسة العتبات بحفاوة الباحثين مذ ألف جيرار جينيت كتابيه الذائعين (عتبات) و(أطراس) وخاصة أن دراسة العتبات تكشف الصلة الوثيقة بين العتبات ومضمون النص، كما أنها تظهر المتلقي على مغزى النصوص بأدنى جهد وأيسر طريق.

وتتسم رواية (شآبيب) بوجود اتصال وثيق بين العتبات والمتن الروائي، سواء في ذلك ما يتصل بالعنوان والغلاف والمقتبسات النصّية.

أما العنوان فهو "مقطع لغوي يدل عبر وظائفه الشكلية والجمالية والدلالية على النصوص والأعمال التي يقدمها"(٢) وبتعبير جينيت "عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة العنوان الحاملة لمصاحبات أخرى مثل اسم الكتاب، أو دار النشر"(٣).

---

(١) عتبات النص في الرواية العربية د. عزوز علي إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢، ٢٣.

(٢) العتبات النصية في رواية أنثى السراب لواسيني الأعرج، ابتسام جيلالي، جامعة الجيلاني ٢٠١٦،٢١.

(٣) عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، الدار العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ٦٧.

وللعنوان أهمية كبرى فهو مفتاح العمل الأدبي وأهم أبوابه وأظهر مداخله وعتباته سواء في ذلك العنوان الرئيس والعناوين الفرعية، وهذا ما يتجلى في العنوان الذي اختاره الدكتور أحمد خالد توفيق لروايته (شآبيب) ولقد كفانا الكاتب مهمة تفسير العنوان حيث قال في صدر روايته: "شآبيب جمع شؤبوب، والشؤبوب الدفعة من المطر والشدة من كل شيء، وشآبيب المطر: القطرات الأولى من المطر[١]، ومما يقال: أنزل الله عليه شآبيب رحمته أي غمره بعفوه"[٢].

والسر في اختيار هذا العنوان ما يحمله في طياته من دلالة على الأصالة اللغوية والتفرد الأدبي؛ فضلا عن الأمل والتفاؤل وتطلع الكاتب إلى دمج شآبيب العرب المتفرقين في شتى بقاع العالم في وطن موحد تسوده العدالة التي أمست بعيدة المنال في ظل هيمنة العنصرية وسيادة الاضطهاد "وهذا لا يعني بالطبع أن تجتمع الدول والشعوب العربية في دولة جديدة من صنع حديث، بل يعني التفاف العرب وتضامنهم مع بعضهم البعض كأمة لها ما يجمعها من معتقدات وتاريخ موحد لمساعدة المضطهدين بشكل ما، وهنا يكمن زبد الرسالة في هذه الرواية، وهي تنبؤ (المشكلة) ومن ثم تنبيه (نتيجة المشكلة) ثم مناجاة (الحل المطروح)"[٣]

وقد يكون اختيار الكاتب لهذا الاسم (شآبيب) مغايرا لما تشهده الرواية من أحداث ومآس، فإذا كانت كلمة شآبيب تدل على التفاؤل واستشراف المستقبل فإن أحداث الرواية تدل على البؤس والتردّي، ولعل الكاتب يقصد أن يصدم القارئ بتلك

---

(١) شآبيب ٧

(٢) ينظر: المعجم الوسيط مادة (ش أ ب)

(٣) الرؤية التنبؤية للشتات العربي في رواية شآبيب لأحمد خالد توفيق، مقال لمحمود سمير بن جالون منشور في مجلة المحطة الإليكترونية بتاريخ ٨ يونية سنة ٢٠٢١م

المفارقة بين العنوان والمضمون ويأخذ بيده نحو المتابعة المثيرة والتفاعل الإيجابي مع أحداث الرواية بكل دقائقها وتفاصيلها.

وثمة ملاحظة تتعلق بالعنوان الرئيس أيضا وهي ما يلحظه القارئ بقليل من التأمل وتتمثل في كتابة العنوان بطريقة بدائية بعيدة عن الزخارف الشكلية، ولعل السر في إيثار الكاتب هذه الطريقة أنها تتضافر مع الأرض البكر والبقعة الجديدة التي اختارها الكاتب موطنا للأقليات العربية.

وإذا كان العنوان الرئيس هو مفتاح العمل الأدبي وأهم أبوابه، وأظهر مداخله، فإن العناوين الفرعية لا تقل في الأهمية من حيث الغايات والأهداف، "فإذا كان العنوان الرئيس يكشف النص المركزي ويكوّن بؤرته ونواته، فإن العناوين الداخلية تكون مكثفة لفصوله ومشكلة لبؤرته مع ارتباطها بالعنوان الرئيس ودورها في إضاءته وإغناء دلالته"(١).

ولقد اتخذ الدكتور أحمد خالد توفيق من أسماء المدن والعواصم عناوين فرعية، وتكفي الإشارة إلى أوسلو ومونروفيا والولايات ومصر وسيدني وشآبيب... إلخ، وتعد صور الاضطهاد للأقليات العربية هي القاسم المشترك بين هذه المدن جميعا، ومن ثم فإن اختيار الكاتب لهذه العناوين يسلط الضوء على المتن الروائي ويأخذ بيد القارئ للوقوف على أظهر معالم الرؤية القصصية في تلك الرواية التي تعرض صفحات متتالية للبؤس والتردي الذي ران على حياة المهاجرين في شتى بقاع العالم دون تفرقة بين البلاد الأفريقية والمدن الأمريكية والعواصم الأوربية.

(١) النص والنص الموازي د. حسن حجاب الحازمي، كرسي الأدب السعودي ٢٠١٨، ٦٤

وأما الغلاف فهو أبرز العتبات التي تواجه القارئ عند مطالعة العمل القصصي "وهو عتبة ضرورية تساعد على التعمق في مستويات النص واستكناه ما تضمنه من أفكار والوقوف على أبعاده الفنية والأيدولوجية والجمالية"(١).

ولا شك أن صورة الغلاف توجز كثيرًا من الأحداث والرؤى التي تموج بها الأعمال الروائية، ولعل هذا هو السر في حفاوة الأدباء والباحثين بعتبة الغلاف "فهو بوابة رئيسة للعمل، ولن يستطيع أحد الدخول إلى ذلك العمل إلا إذا تمكن من فتح هذا الغلاف وفك شفراته، وتقديم هويته الثقافية، والتي من خلالها يسمح له بالمرور والتجول داخل العمل، ذلك أن الغلاف وما فيه من إشارات وتلميحات تدل على المتن الأساسي للرواية"(٢).

(١) العتبات النصية في رواية أنثى السراب١٣

(٢) عتبات النص في الرواية العربية٢٥٥

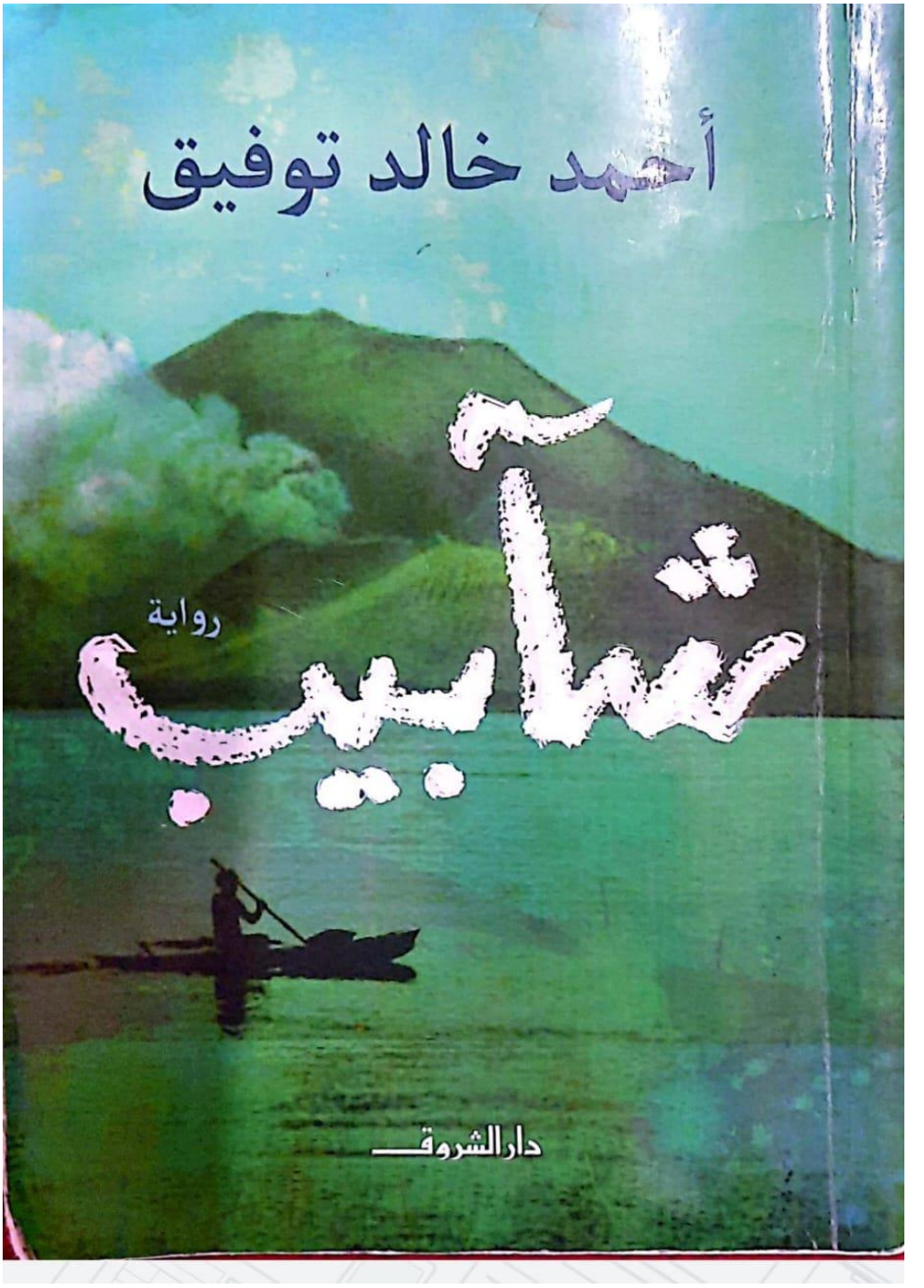
أحمد خالد توفيق
رواية
ما بعد الطبيعة
دار الشروق

والمتأمل في الصورة السابقة يلحظ التخيّر البارع للغلاف الذي يحمل كثيرا من الأسرار والدلالات، وأول ما يلحظه القارئ هو هيمنة اللون الأخضر تتخلله صورة بحّار يعتلي قاربا بدائيا ويقبض على مجداف نحيل في نهر متسع يتراءى من خلفه جبل ضخم تكسوه الخضرة الكثيفة.

واللوحة في مجملها تظهرنا على ما يعتمل في نفس الكاتب من أمارات التفاؤل واستشراف الغيوب والتطلع إلى آفاق المستقبل المشرق بعد تراكم الهموم وسيطرة الأحزان نتيجة الاضطهاد العنصري للأقليات العربية عبر الأزمان المتطاولة والعقود الممتدة، وها هو ذا يفرّ من تلك الأجواء البغيضة صوب آفاق جديدة تكسوها الخضرة اليانعة والألوان المحببة بطريقة تعيد إلى الأذهان مسلك الشعراء الرومانسيين الذين اتخذوا من الطبيعة بمظاهرها المختلفة ملاذا ومهربا.

أما المقتبسات النصية فهي إحدى مكونات النص الموازي وتعني "العبارات المقتبسة التي توضع في صدر الكتاب، أو في جزء منه، وتلخص فكرة المؤلف، وتوضع بين قوسين، أو مزدوجتين، أو بين معقوفتين، أو بين علامات التنصيص، على أنها تضمين واقتباس واستشهاد، ويكون الغرض من هذه المقتبسات هو التوضيح، والتدقيق، والتعضيد، وتقوية النص، وإضاءته فهما وتفسيرا وتأويلا"[١]

وتأتي مقتبسات أحمد خالد توفيق لتؤكد براعته في التمهيد لفصول الرواية، وذلك عن طريق اقتباس عدد من النصوص الدالة والعبارات الموحية التي تسلط أضواءها الكاشفة على مضمون العمل الروائي، ولئن أردنا مثالا على ذلك فلنتأمل تلك العبارات التي تتصدر أحد الفصول التي تتناول صور الاضطهاد الأمريكي للأقليات العربية، ومن ثم كان من المناسب أن يستلهم الكاتب عبارة راغب شكري

---

(١) شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي) جميل حمداوي الطبعة الثانية سنة ٢٠١٦ م، ١٦٥

في كتاب (البحث عن وطن) "احمل أحلامك وذكرياتك في جعبة خلف ظهرك، امض في العالم واغرسها حيثما أردت.. مرحبا بك في وطنك الجديد"[١] .

والسر في اقتباس هذا النص هو التعبير عن الرغبة في الخلاص والبحث عن ملاذ آمن بعد أن تصاعدت حدة التعصب ضد جوناثان ومكرم برغم ديانتهما النصرانية وبشرتهما البيضاء وثقافتهما الإنجليزية.

وفي فصل آخر بعنوان (الولايات) يستهل الكاتب حديثه بهذه العبارة لمكرم ميخائيل من كتاب (العربي التائه): "قد يعيش المرء دون مسكن أو مال أو طعام أو ملبس... قد يعيش من غير مستقبل، لكنه لا يستطيع أن يعيش لحظة واحدة من دون حلم، إنها تكون نهايته[٢] ويشهد هذا الفصل ميلاد حلم (شآبيب) وفيه يتفتق ذهن مكرم عن الفكرة الأساسية للرواية، وتتلخص في إنشاء وطن قومي للعرب في تلك البقعة القصيّة من الكرة الأرضية، ومن ثم فقد ألقى النص المقتبس بظلاله على المتن الروائي بدرجة كبيرة.

وفي الفصل الذي اختار له الكاتب عنوان (أوسلو) يتخير هذا النص الذي يتناول صور الاضطهاد للعرب هناك: "وكانت للجهل والمقت والسواد والضغينة والتخاذل الكلمة الأخيرة في صراع التاريخ منذ الأزل"[٣] وقد شهد هذا الفصل تصاعد ذروة الاضطهاد للأقليات العربية بإيعاز من كبار الساسة وعلى رأسهم (داجفين)، وعلى هذا النحو تظهرنا المقتبسات النصية على التضافر مع المتن الحكائي مما يشي بتآزر العتبات مع النص بدرجة لا يمكن إغفالها عند مقاربة الرواية وتتبع أدوات التشكيل الفني لدى الكاتب.

---

(١) شآبيب ٥٢

(٢) شآبيب ١٢٠

(٣)السابق ١٦٦

المبحث الثاني: الشخصيات

تحتل الشخصية مكانة مهمة وأساسية في بناء الرواية، إذ تعد المحرك الأساسي للأحداث ويقوم الكاتب من خلالها بالتعبير عن رؤيته وأفكاره"[١] لذا عدّها النقاد العنصر الأبرز الذي يعتمد عليه في بناء الرواية.

وتتعدد طرائق الكتّاب في تقديم الشخصيات الروائية بين التقديم المباشر وهو ما يعبر عنه بطريقة الإخبار والتقديم غير المباشر أو ما يسمى بالإظهار، ويناط بهذه الطرائق المتنوعة تسليط الضوء على الأبعاد الجسمية والنفسية والاجتماعية للشخصيات الروائية "ويتم تقديم الشخصية ووضعها على خشبة النص اعتمادا على دال منفصل، أي على مجموعة متناثرة من الإشارات التي يمكن تسميتها سمة الشخصية"[٢] .

والمتأمل في شخصيات رواية شآبيب يلحظ أن اهتمام الكاتب بالأحداث يجاوز اهتمامه بالشخصيات، ولعل السر في ذلك هو تفاوت الاهتمام بالشخصيات لدى عدد من الكتّاب على مرّ العصور "فإن كتّاب القرن العشرين نادوا بالتقليل من مكانة الشخصية داخل الرواية، وقد زاد الأمر لدى أصحاب الاتجاه البنيوي الذين نادوا بأن الشخصية داخل العمل الروائي إنما تتوقف أهميتها فقط على الدور

---

(١) في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبدالملك مرتاض المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ١٩٩٨ ،٧٣.

(٢) سيمولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار ط الأولى ٢٠١٣،٨٣.

الوظيفي الذي يرسمه لها الكاتب، فالشخصيات الروائية ليست كائنات حقيقية بل هي كائنات من ورق"[١] .

"وترجع تلك النظرة الواقعية للشخصيات إلى العصور القديمة التي كانت تهتم بالموضوع والأحداث على حساب الشخصيات فما كانت وظيفة الرواية إلا تقديم ما يدور داخل المجتمع من أحداث متنوعة، ومن ثم تأتي الشخصيات في مجملها تابعة لهذه الأحداث تتحرك بحركتها وتدور في فلكها دون الاهتمام الكبير بعيوبها وسماتها وما تحمله من صراعات إنسانية متنوعة"[٢].

وتضم رواية شآبيب حشدًا هائلًا من الشخصيات المتنوعة والنماذج البشرية التي وقعت فريسة للاضطهاد والعنصرية سواء في ذلك مكرم المقيم في أمريكا وسليم في مونروفيا، وأمينة في النرويج، ومحمد عدنان في مصر، وسوف نلحظ أن الكاتب لم يهتم بالتتبع الدقيق للشخصيات أو الوصف المباشر لأبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية واكتفى بتسليط الضوء على دور كل منها في نقل الأحداث وتطويرها، وبتعبير آخر "جاء وصف الكاتب للشخصيات متقطعا ومتتابعا على طول الرواية، فلم يقدم الكاتب وصفه لشخصية معينة جملة واحدة بل جعلها تبرز وتظهر أكثر وأكثر بتطور ونمو الأحداث"[٣] .

فعناية الكاتب لم تتجه نحو استيفاء الأبعاد الثلاثة للشخصيات بالطريقة التقليدية ولعل السر في هذا المسلك يرجع إلى رغبة الكاتب في إضفاء لون من

---

(١) رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق دراسة تحليلية نقدية د. منتصر صديق مجلة الزهراء العدد الحادي والثلاثون ٢٠٢١، ١٨٣٨.

(٢) رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا ١٨٣٦

(٣)رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا ١٨٥٥

التشويق والرغبة في قراءة الرواية حتى نهايتها ومن ثم "لا يستطيع القارئ تكوين صورة كاملة عن الشخصية إلا بعد الفراغ من قراءة الرواية"(١).

وفي الصفحات التالية نتوقف مع أبرز الشخصيات لنتعرف على طريقة الكاتب في تقديم كل منها ومدى تأثيرها في سير الأحداث، بالإضافة إلى ما يكتنفها من الطبائع والصفات:

أما سليم فهو ابن التاجر العربي الذي فرّ من ليبيا تحت وطأة الفقر المدقع والاضطهاد السياسي والاحتراب الدائم، ولقد شهدت فصول الرواية حضورًا مكثفا لشخصية سليم، وإن قدمه الكاتب – كعادته في تقديم شخصياته – بطريقة غير مباشرة باستثناء بعض الأسطر التي تسلط الضوء على البعد الجسمي للشخصية "في ذات صباح خرجت أمينة من الخيمة ومضت لنطاق الأشجار لبعض حاجتها فوجدت رجلا مفتول العضلات عاري الجذع يقف بين شجيرات ويسكب الماء على جسده من وعاء قديم صدئ .. عضلاته المرسومة بعناية تذكرها بأطلس التشريح الذي كان في المدرسة، ترى العضلة الصدرية العريضة والدالية وثنائية الرأس بوضوح تام .. مبتلة تلمع في الشمس، اللون الأسمر الذي لا يمكنك أن تخلقه بالألوان أبدا والذي يقترن في ذهنها بالرجولة.. عندما رفع وجهه المبلل بالماء أدركت أنه سليم .. الثائر الغاضب القادم من مونورفيا رفيق السفينة"(٢)

وسليم هو الرجل الثاني في (شآبيب) الوليدة، ولا غرابة فهو يمتلك من السمات الجسدية والنفسية ما يؤهله للقيادة في تلك البيئة القاسية، فهو كما يتضح من الوصف السابق لديه القوة الجسدية والعضلات المفتولة، أضف إلى ذلك ما

---

(١) ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق، د. محمود أبو زهرة مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد التاسع والثلاثون ١٠٣٦، ٢٠٢٠

(٢) شآبيب ٢٢١ باختصار.

يكتنف صدره الثائر من العنف والتمرد والحنق الهائل ضد الغرب بسبب قتلهم زوجته وابنيه أمام عينيه على يد العصابات المتوحشة في مونروفيا مما أحاله شخصا غضوبا أشبه بحصان جامح وفي هذا إشارة إلى أن اختيار الاسم (سليم) يحمل في طياته دلالة عكسية نظرا لأن الرجل أبعد ما يكون عن سلامة الصدر ونقاء السريرة.

وتتضح القسوة التي تنطوي عليها نفس سليم في أنه تعمد الانتقام من الفتى البدائي الذي أقدم على قتل مكرم بأن علقه على خازوق مرتفع ليكون عبرة لمن يراه"[١] بل لقد بلغت به العدوانية درجة قتل أبي المنذر السوري حتى تصبح (شآبيب) مرتعًا للفرق الدينية المتصارعة، مما يدل على أن (سليم) كان يعاني من الاضطراب النفسي الذي يصل إلى درجة السادية نتيجة لما رزئ به في مونروفيا من قتل زوجته وولديه، ولئن أردنا تصنيفا لهذه الشخصية المحورية فإننا يمكن أن نقرر أنها شخصية نامية تتطور باستمرار وتتفاعل مع الأحداث وتتميز بحضورها القوي وتأثيرها الواضح ، وتوصف كذلك بأنها "مغلقة لأنها تتصف بعلاقاتها المتشابكة المعقدة"[٢].

وأما أمينة فهي معلمة تونسية تعيش في النرويج بعد موت أبيها مع زوجها شريف وابنتها سميرة، لكنها وقعت فريسة للعنصرية المقيتة والاستلاب الثقافي،

"امرأة عربية ذات ملامح قوية، سمراء لها أنف أقنى، وفي ظروف أخرى يمكن أن تعتبرها جميلة، وهي تلبس الحجاب، حجاب عصري أنيق لكنه يبدو مستغربا وسط هذا الصف"[٣].

---

(١) شآبيب ٢٨٤

٢) بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب د. سيد حامد النساج ٤٠

(٣) شآبيب١٨

وأمينة مثال للشخصية المسطحة التي تقتصر على الدور المطلوب منها فلا تتطور ولا تتفاعل مع الأحداث[١]، وها هي ذي تلخص يومها في أوسلو وذلك حين سألها زوجها:

ـ هل كان يومك طيبا؟

ـ قالت في لا مبالاة: رائع .. لوم من المديرة، وتهديد بالطرد، ثم سيارة شباب مستهترين كادت تدهمني، ثم سميرة تشكو من مضايقات .. إنه الروتين المعتاد"[٢].

وتتكرر صور العدوان على أمينة حتى تأتي الحادثة التي دفعتها دفعا إلى الفرار دون أن تكترث بزوج أو وظيفة، كان ذلك حين هاجمت عصابات نرويجية الحي العربي الذي تقطنه، وأشعلوا النيران في السيارات والمحال والبيوت، "على الأرض سقطت زجاجة مشتعلة لتتحطم .. مولوتوف .. هدية الشيطان لمن يريدون أن يسكروا معه في سقر، الاختراع اللعين الذي يحمل اسم وزير الخارجية السوفيتي على سبيل التهكم والسائل ينسكب على البساط ليبلله ثم تسري فيه النار خضراء في البداية وترتفع خلال لحظة كان الكابوس قد تحقق بالكامل"[٣].

هذه المشاهد وغيرها كثير مما واجهته أمينة من السباب والتحرش والاغتصاب مع تراخي الجهات الأمنية تعيد إلى الأذهان مقتل الدكتورة مروة الشربيني في ألمانيا عام٢٠٠٩ حيث قام شاب ألماني نازي الطباع بتوجيه ثمانية عشرة طعنة في جسد مروة أمام مرأى القضاة والشرطة في قاعة المحكمة بسبب حجابها الذي يرمز لثقافتها الإسلامية[٤].

---

(١) ينظر بناء الرواية د. عبد الفتاح عثمان م الشباب ٣٣

(٢) شآبيب ٣٦

(٣) السابق ٤٨

(٤) ينظر: الرؤية التنبؤية للشتات العربي٢

وقد أدركت أمينة حجم الكارثة وأضحت الهجرة أمرا لا مفرّ منه، وصادف ذلك الشعور مطالعتها في كتاب (العربي التائه) "وهو الكتاب الذي كانت تنتظره الأقدار في حياتها، وهو موشك على أن يكون إنجيلا يخبرها بما ينبغي أن تعرفه وما ينبغي أن تفكر فيه وما ينبغي أن يكون"(١).

ولقد أذكت تلك المشاعر لدى أمينة خطبة نائب الرئيس الأمريكي جوناثان إيرهارت عن الوطن الجديد "ظلت أمينة تنظر للشاشة غير مصدقة ثم نظرت لجارتها السورية زهرة وصدرها يعلو ويهبط ثم نظرت لابنتها وسرعان ما تعانقت المرأتان وهما تبكيان.. لقد انتهى الكابوس.. أرض أخرى واحتمالات أخرى ووجوه أخرى .. لا مزيد من الخوف والاضطهاد"(٢).

وفي (شآبيب) تلتقي أمينة بسليم فتى مونوروفيا الغاضب الذي شاهدته لأول مرة على ظهر السفينة وتزايد الإعجاب حين رأته يسكب الماء على جسده بين الأشجار، وهناك واصلت أمينة مهمتها التعليمية وما أبعد ما بين مقتضيات المهنة المقدسة وبين متطلبات الغريزة التي دفعتها إلى الافتنان بسليم برغم قسوته وساديته، ومن ثم لا نعجب حين نلحظ اللقاءات المتكررة بينهما وسط الأدغال "ولا تحتاج لخيال خصب كي تعرف ما يحدث، يحدث بينهما ما يحدث لأي امرأة ناضجة ورجل قوي مكتنز بالعضلات وحدهما في الدغل"(٣) وحين آذنت (شآبيب) بالانهيار والبركان بالانفجار كانت النهاية التي آذنت بالفراق بين أمينة وسليم.

وأما مكرم ميخائيل فهو أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد الأمريكية، ويمثل الشخصية الإيجابية وهي "شخصية البطل الذي يواجه القضايا المصيرية

---

(١) الرؤية التنبؤية للشتات العربي ١٦٧

(٢) شآبيب ١٧٤

(٣) شآبيب ٢٧٠

بوعي وإيجابية ويستطيع التأثير على الأحداث وعلى الشخصيات الأخرى ولا يقف موقف المتردد العاجز بل يتخذ القرارات بحزم ويسير في الطريق الذي اختاره بقوة مجتازا كل العقبات التي يمكن أن تقف في طريقه(١)

يؤكد ذلك أنه يعد نموذجا للقائد الذي تبنى الفكرة وعمل على إخراجها إلى حيز الوجود متوسلا إلى تحقيق هذه الغاية بكثير من الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وبرغم ذلك لم يعمد الكاتب إلى أسلوب الإخبار أو الوصف المباشر لهذه الشخصية بل اكتفى بأسطر متناثرة على صفحات الرواية ومن خلال هذه الصفحات نستطيع الوقوف على البعد الجسمي لهذه الشخصية، "أما عن مكرم فهو قصير القامة له لحية قصيرة شائبة، وجسد ممتلئ، وربطة عنق ذات لون مزعج على شكل بابيون"(٢)

ويبدو الكاتب على يقين بعدم جدوى الإطالة في وصف الأبعاد الجسمية لشخصية مكرم، وأن ما ذكره من وصف موجز يفي بالغرض ويحقق الغاية وبخاصة أنه أضاف إلى ذلك وصف البعد النفسي لهذه الشخصية، ذلك أنه كان على درجة من النبل والمهارة التي تؤهله للقيادة والعمل على تحقيق الحلم الذي يختلج في نفسه وفكره، "كان مكرم يحلم بدولة عربية واحدة يجتمع فيها العرب بعد ما تشتتوا في العالم، وبعد ما ترك أغلبهم بلاده الأصلية إلى الغربة .. هناك لن يضطهدهم أحد ولن يخيفهم أحد سوف تكون دولة قوية؛ لأنها تضم عقولا متقدمة ذكية، ولأنها ستمزج بين ما تعلموه في كل الحضارات"(٣).

---

(١) البطل في الرواية دراسة تطبيقية في الرواية السعودية د. حسن حجاب الحازمي دار النابغة ٢٠١٦،١٩٨

(٢) شآبيب ٦١

(٣) شآبيب ١٢١

وإذا كانت فكرة إنشاء دولة تتطلب قدرًا من المكر والدهاء فقد اجتمعت في مكرم تلك الصفات أيضا "فكان يقابل الممولين ليخبرهم أن الرئيس الأمريكي متحمس للفكرة بشدة ثم يقابل الرئيس الأمريكي ليخبره أن الممولين متحمسون بشدة"(١).

وقد يستدعي الأمر نوعا من المساومة بعيدا عن النبل والتعاطف "قال مكرم: نحن لا نناقش أي جوانب إنسانية نحن نتكلم عن حقائق برجماتية بحتة من مصلحة الغرب والولايات المتحدة أن يتخلصوا من العرب المنتشرين في العالم، الولايات المتحدة لن تساعدنا على اتخاذ وطن قومي لمجرد أنها طيبة القلب، أو لأنك تعلي من القيم الإنسانية يا جوناثان"(٢). وهكذا تجتمع في مكرم صفات القائد والمفكر الذي يحظى بحفاوة رجال السياسة والمهاجرين على اختلاف مشاربهم مما أهله للقيادة والتوجيه.

كما شهدت الرواية حضورا لشخصية محمد عدنان الفقي المصري الذي يعد مثالا للشخصية السلبية ولعل هذا هو ما جعل الكاتب ينطلق في وصفه من البعد النفسي، "ويعد الوصف النفسي من أنواع الوصف الداخلية التي يعتمد عليها الكاتب، إذ يركز على ميول الشخصية ورغباتها وسماتها المتعددة"(٣) ولا غرابة فقد كان في مطلع شبابه يحلم بالمستقبل ويرقب النجوم ويتطلع إلى السماء مستخدما مرقابًا صغيرًا، وسرعان ما انهارت أحلامه الطويلة تحت وطأة الغريزة: "استطاع أن يرى ظهر الفتاة والشعر الطويل والنعومة المخملية... لقد ماتت النجوم، ولم يبق

(١) شآبيب ١٣١

(٢) السابق١٣٣

(٣) رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا ١٨٦١

سوى الجسد مشروع الفلكي الشاب قد دفن تحت طبقات الدانتيلا والساتان والحرير"[١].

وقد أثر هذا التحول في حياة محمد عدنان الفقي فتراه سلبيا في علاقاته مضطربا في انتماءاته "طيلة الوقت يشعر محمد بتأنيب الضمير، مع الإسلاميين يشعر أنه فاسق لم يتملك منه الإيمان بما يكفي، ومع اليساريين يشعر أنه جبان ممن يعرقلون الثورات... رجعي برجوازي"[٢].

وسرعان ما انتهى به الأمر إلى غياهب السجون بعد القبض عليه متلبسا بحيازة منشورات سياسية، وبعد خروجه من السجن يعمل موظفًا في أحد البنوك لكنه يمسي على مشارف الفشل في حياته الزوجية بسبب ما يعتمل في نفسه المضطربة من ندوب وآلام "ما هو السبب؟ السبب هو أنك اعتدت أن مصر تعكس حالتك النفسية والجسدية، كنت في ذروة الخصوبة والعنفوان عندما كانت مصر بخير نسبي، ثم بدأت مصر تنهار في كل شيء، ومع كل انهيار تفقد أنت أرضا، هناك جزء من رجولتك يضيع في كل مرة، والهموم تبتلع الهرمونات كأنها لقيمات خبز"[٣] والكاتب يتخذ من الشخصية معادلا موضوعيا لمصر فتراه يقوى بقوتها ويضعف بضعفها مما يؤكد روح الانتماء والارتباط الذي يبلغ أبعد آماده وأقصى درجاته.

وسرعان ما تتهيأ لمحمد عدنان أسباب الفرار من سجن الذات وسجن الوطن إلى مدينة سيدني، وهناك يتصادف أن يشاهد مع زوجته الأسترالية جلاديس خطابا لنائب الرئيس الأمريكي الذي يتحدث فيه عن الوطن الجديد في بابوا غينيا الجديدة

---

(١) رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا ٨٤ باختصار

(٢) شآبيب ٨٨

(٣) السابق ٩٩

"الفكرة كانت أقرب للدعابة على مائدة الغداء، صارت وسواسا، فهاجسا، فرغبة كاسحة، لم يتصور محمد أنه سيهاجر مرة ثانية"(١).

وفي (شآبيب) يستعيد محمد عدنان نفسه ويستعيد رجولته "كان يتذكر كيف كان جثة هامدة مع زوجته المصرية فيندهش لقد هزمته مصر فجعلته فاقدا لغريزة الحياة، ثم أعادت أستراليا عصارة جسده(٢).

وسرعان ما تخيب آمال محمد عدنان للمرة الثالثة حين رزئ في زوجته جلاديس التي راحت ضحية للعنصرية البغيضة والطمع الذي يعتمل في نفوس المهاجرين أيضا، "جلاديس الزوجة الأسترالية المرحة تبدو وكأن قطارا قد دهمها.. لا تدري هل ما يلوث وجهها دماء لها مظهر الدموع أم دموع دامية.

وماذا حدث بالله عليك؟

قال الشاب المصري وهو يرتجف:

لقد ضربوها .. ضربوها بكل خسة وعنف وتلقت ركلات في بطنها جعلتها تفقد حملها.

تتحدث عن المواطنين؟

بل عن المهاجرين"(٣).

وهكذا تنطوي صفحة جديدة من حياة محمد عدنان واستتبع ذلك ظهور نذر استحالة الحياة في شآبيب نتيجة للصراع الدفين والحقد العبثي الذي انفجر في كل الاتجاهات.

---

(١) شآبيب ١٩٦

(٢) السابق ٢١٩

(٣) السابق ٣٩٢

هذا والرواية حافلة بأعداد هائلة من الشخصيات الثانوية التي أثرت الأحداث وسلطت الأضواء على الشخصيات الرئيسية ولست أبالغ حين أزعم أنها امتداد لغيرها من الشخصيات وتجسيد لما يكتنفها من الطبائع والسمات، "مساعدو الشخصيات ليسوا في أغلب الأحيان سوى تجسيد لبعض مميزات هذه الشخصية السيكلوجية والأخلاقية والجسمية"(١)

ومن نماذج الشخصيات الثانوية أوغاد مونروفيا والعنصريون في أمريكا والمتحرشون في النرويج، وأهم من هؤلاء تلك الشخصيات الوافدة التي انصهرت في بوتقة الوطن الجديد أمثال المطرب السوري مصطفى وزوجته زهرة، وقاسم العراقي الذي أسندت إليه وزارة التعليم في شآبيب، وأحمد شاهين الفيلسوف الإسلامي، ومحمود راغب الشاعر الروائي وألبير سعادة أستاذ العلوم السياسية، وسمير الشيخ أستاذ القانون الدولي والأديب راغب شكري صاحب كتاب البحث عن وطن، وجورج مندوه الطبيب الأديب، وأبو منذر السوري الإخواني المطالب بتجنيس الجيوش وإقامة دولة الخلافة، ومختار الماركسي وعزة محبوبة محمد عدنان وأبو مندور رفيق الزنزانة، وقد نالت تلك الشخصيات اهتمام الكاتب فقد سلط عليها أضواء الوصف والتحليل في مواضع كثيرة من الرواية، وتكفي الإشارة إلى وصفه للجاسوس (رأفت) "وهو شاب أسمر نحيل له عينان جاحظتان خبيثتان وشفة سفلى متدلية وتفاحة آدم لا تكف عن الرقص في عنقه .. يبدو وضيع الأصل بوضوح تام، لكنه تفرنج قدر الإمكان ليليق بسيدني ، هذا القناع لن يخدع أحدا"(٢) .

فهذا الوصف الدقيق يؤكد إيمان الكاتب بدور الشخصيات الثانوية في تسليط الضوء على الشخصيات الرئيسية وقدرتها على التأثير في سير الأحداث الروائية، كما يؤكد قدرته على المزج بين الوصف الجسمي والدلالات النفسية.

---

(١) سيمولوجية الشخصيات الروائية ٨٣

(٢) شآبيب ١٩٢

وهكذا تعج الرواية بأعداد هائلة من الشخصيات والنماذج البشرية التي تصور ألوانا من الانتماءات السياسية والعرقية والدينية يجمعهم الاضطهاد العنصري في شتى البقاع فضلا عن حلم اللقاء في شآبيب، وأهم من ذلك وأجدر بالتسجيل براعة الكاتب في توظيف هذا الكمّ من الشخصيات على اختلاف طبائعها وتسليط الضوء على دورها في تطوير الأحداث وإن قدمها بطريقة الإظهار دون الإخبار مما يؤكد تبعية الشخصيات للأحداث الروائية.

المبحث الثالث: الزمن

يرتبط فن الرواية بالزمن ارتباطا وثيقا، إذ لا بد أن تحكى القصة في زمن معين ماض، أو حاضر، أو مستقبل، ومن هنا تأتي أهمية التحديدات الزمنية بالنسبة لمقتضيات السرد"[١] ويتفاوت الاهتمام بالزمن بين الروايات التي تهدف إلى استيفاء العناصر القصصية والأخرى التي تتخذ من الزمن أساسا في البناء ومحورا من محاور التشكيل الفني "وتأتي ضرورة دراسة الزمن من أهمية هذا العنصر وكونه أساسا في البناء الروائي ولا سيما في الروايات الجديدة التي تخوض غمار التجريب في المستوى الزمني"[٢]

وتقترب رواية شآبيب من هذه الزاوية من الأدب العجائبي أو العجائبية التي انتشرت على الساحة الأدبية في الآونة الأخيرة "وهي تقنية سردية تقوم على تجاوز الواقع إلى الخيال، كما تقوم بتفكيك العوالم السردية وتعيد إنتاجها وفق عوالم خيالية تجعل القارئ يغوص في أعماق النص ويبحث عن خباياه"[٣] ولعل مما يثبت هذه الرؤية أن الخيال هو المحور الرئيس في الرواية حيث تقوم على أساس البحث عن الأمان ونشدان الاستقرار للأقليات العربية المقهورة في البيئات الأوربية، بالإضافة إلى العنوان الذي يعد أظهر مفاتيح العجائبية في تلك الرواية حيث لا يوجد كيان أو مدينة على خريطة العالم تحمل هذا الاسم (شآبيب)، فضلا عن السكان واللغات والعادات والتقاليد وغيرها من المكونات التي هي ثمرة الخيال وملمح من الملامح

---

(١) بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء الطبعة الأولى ١٩٩٠،١١٧

(٢) جماليات الزمن في الرواية الإماراتية، بشرى عبدالله، منشورات ضفاف ٢٠١٦ ،٣

(٣) العجائبي في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق للباحثة الجزائرية أحلام الواج، مجلة الخطاب والتواصل المجلد الثاني العدد الثامن نوفمبر٣٥،٢٠٢١

العجائبية التي تفتق عنها ذهن الكاتب أحمد خالد توفيق ليس في شآبيب فحسب وإنما في عدد غير قليل من رواياته ومؤلفاته، وأهم مما سبق وأجدر بالتسجيل غياب التحديد الزمني الدقيق فلم يذكر الكاتب شيئا عن الزمن التاريخي الذي وقعت فيه أحداث الرواية إمعانا في إضفاء الصبغة العجائبية على مكونات الرواية بوجه عام وعلى المسار الزمني بشكل خاص.

هذا، ويرتبط بالزمن كثير من مقومات الرواية الناجحة والتقنيات الفنية المهمة كالاسترجاع والاستباق والتلخيص والحذف.. إلى غير ذلك من التقنيات التي تجذب القارئ وتدفعه إلى مواصلة القراءة الواعية والتلقي الإيجابي وتضاعف من إيهام القارئ بواقعية الرواية، كما يعد عنصر الزمن من العناصر التي لعبت دورا أساسيا في التعبير عن الرؤية الفنية للكاتب أحمد خالد توفيق ومحورًا من أهم المحاور التي تقوم عليها رواية شآبيب سواء من حيث الزمن الروائي وما يكتنفه من تقنيات فنية، أو الزمن التاريخي وما يحفل به من الإثارة والتشويق.

وتبدأ الرواية بالفصل الذي اختار له الكاتب عنوان (على الساحل) ويمثل نهاية الأحداث مما يدل على اعتماد الكاتب على تقنية الاسترجاع التي تعد من سمات تيّار الوعي الذي يعنى بالكشف عن البعد النفسي للشخصيات الروائية "وأول سمة مشتركة بين هؤلاء الكتّاب ثورتهم على القص، حيث تبدأ الرواية من نقطة معينة ثم يستخدم الكاتب وسائله في الرجوع إلى الزمن الماضي والتقدم إلى الأمام"[١] .

ويستهل الكاتب روايته حيث يقف الباطل سليم شاردا قد أبحر في عباب الذكريات في مونروفيا ثم شآبيب "الحين حين تأمل وشرود، الإبحار في عباب الذكريات، ولحظات محاسبة الذات القاسية... من بعيد يتصاعد الدخان من بركان

(١) الرواية الآن، دراسة في الرواية العربية المعاصرة، د. عبدالبديع عبدالله، مكتبة الآداب ط الأولى ١٩٩٠، ٩٨

جاواتامي، حوت عملاق ضخم ينعس في الأفق وتنبعث من ظهره نافورة مياه سوداء كثيفة شيطانية الرائحة.. يحفر على الأرض بلا توقف.

كريمة ..

الاسم كريمة

ثم مدّ قدمه الحافية بأظافرها المتسخة فمسح الاسم بطرف العصا، بدأ يحفر اسم أمينة..."[١]

وقد لعب الاسترجاع دورا مهما في التعبير عن الرؤية الفنية للكاتب، وإضفاء لون من التشويق والإثارة، وأهم من ذلك أنه صوّر حياة أولئك المضطهدين في دورانهم في حلقات متصلة من القسوة والمعاناة ما تلبث إحداها أن تنتهي حتى تعود من جديد.

ويظهر أن الكاتب قد راقه هذا المسلك فتراه يكرره في مواضع كثيرة لغايات نفسية منها استرجاع (أمينة) لمشهد توديع تلميذها النورويجي "عندما قدم لها (أولاف) اللفافة بيده الراجفة ترددت قليلا قبل أن تفتحها، كانت تحاول إرجاء لحظة اعترافه بحبها إلى أطول وقت ممكن، لأن معنى هذا نهاية صداقة جميلة ..لن تملك سوى الزجر والتوبيخ والصد. الحقيقة مريرة لكنها كالدواء.. بالغة الأهمية ويجب أن تقال ..هذه اللفافة تحوي حبا. ربما تحوي شعرا أو زهرة أو مناديلها الورقية التي كانت ترميها منذ عامين ..المهم أنه حب.. تعرف هذا..."[٢] ولم تكن اللفافة سوى حجر مغطى بالدماء ألقاه التلميذ على العنصريين في محاولة للدفاع عن معلمته، لكن هذا الموقف النبيل كان خير عزاء لأمينة عما واجهته في أوسلو من الألم والمعاناة، والاسترجاع يحمل في طياته ألوانا من المشاعر المتناقضة ويعبر عن

---

(١) ينظر: شآبيب١٠ ، ١١ باختصار

(٢) السابق ١٧١

نفس مضطربة تتنازعها الرغبة في البقاء لتلبية حاجات الجسد والعزم على الهجرة هربا من الاضطهاد والعنصرية وهذا ما عبر عنه الاسترجاع أصدق تعبير وأوفاه.

ولا يقتصر الأمر على الاسترجاع وإنما نجح الكاتب في الجمع بينه وبين الاستباق أو الاستشراف السردي، ويقصد به "تجاوز النقطة الزمنية التي وصلها السرد والقفز إلى الأمام لتقديم حدث أو أحداث سابقة لأوانها، أو يمكن توقع حدوثها"(١)

ويعد الاستباق محورا لعدد من روايات الكاتب وفي طليعتها (يوتيوبيا)(٢) و(وعد جوناثان)(٣) بحيث يمكن القول بأن أحمد خالد توفيق يعيد إلى الأذهان صنيع جورج ويلز في روايته المشهورة (آلة الزمن) (٤).

وتتعدد نماذج الاستباق في شآبيب وحسبي أن أشير إلى هذا النموذج الذي يرتبط بالبطل سليم "كان يتخيل في طفولته مشهد الحساب في يوم القيامة، البشر

---

(١) بنية الشكل الروائي ١٣٢ بتصرف.

(٢) يوتوبيا، تعد أشهر روايات الكاتب أحمد خالد التوفيق وتدور أحداثها في سنة ٢٠٢٣ حيث تتحول مصر إلى طبقتين: الأولى- بالغة الثراء وهي يوتوبيا، والثانية- تعيش في العشوائيات في فقر مدقع، والرواية تحكي قصة شاب من يوتوبيا يقوم بمغامرة لكسر الملل وهي صيد شخص فقير كي يلعب به مع أصحابه ثم يقتله. ينظر: يوتوبيا، الطبعة السادسة، دار الشروق ٢٠١٤.

(٣) (وعد جوناثان) رواية شهيرة للكاتب نفسه، وقد اختار لها هذا الاسم تشبيها لها بوعد بلفور الذي كان ذريعة لتأسيس وطن قومي لليهود، وتكاد الرواية أن تكون حلقة من حلقات شآبيب. ينظر: سلسلة فانتازيا، روايات مصرية رقم ٦٣.

(٤) آلة الزمن رواية ألفها هربرت جورج ويلز وفيها يطرح المسافر عبر الزمن الذي لم يذكر اسمه أبدا على ضيوفه في حفل العشاء نموذجا لآلة ستحمله إلى المستقبل أو إلى الماضي، ينظر: آلة الزمن، ترجمة كوثر محمود محمد، مؤسسة هنداوي ٢٠١٢،٩

الذين خرجوا من قبورهم على صوت النفير يمشون متعثرين خائفين في طابور طويل، بدايته مولد البشرية ونهايته آخر طفل ولد قبل قيام الساعة"[١]، ولقد أجاد الكاتب توظيف الاستباق والربط بينه وبين المشهد المروّع الذي صاحب ثوران البركان في شآبيب، فكان إيذانا بانهيار الحلم وفقدان الأمل في تأسيس وطن جديد.

وبرغم ما ترتب على الاسترجاع والاستباق من إطالة السرد وإبطاء الحكي – وتلك أبرز المآخذ على الرواية – فقد لجأ الكاتب إلى عدد من التقنيات التي تسهم في تسريع الحكي ومنها التلخيص والحذف.

أما التلخيص فيقصد به "تقديم الأحداث التي استغرقت فترة زمنية طويلة في مقاطع سردية قصيرة"[٢] ولعل أظهر نماذج التلخيص في رواية (شآبيب) تلك التي تتعلق بأمينة بطلة الرواية، فالكاتب طوى ذكر مرحلة طويلة من حياتها في هذين السطرين "العودة لتونس! مستحيل. لقد انقطعت سبل الحياة بها هناك خمسة عشر عاما في النرويج، لقد صار هذا هو وطنك الحالي، وأنت تعرفين أن تونس صارت نقطة بعيدة في الأفق أقرب إلى السراب"[٣].

أما حياتها في موطنها الأصلي ومراحل طفولتها وصباها في تونس وبواعث هجرتها؛ فلا نكاد نجد لها أثرا برغم ما تتسم به الرواية من الطول والاستطراد، ولعل السر في ذلك قناعة الكاتب بعدم جدوى التعرض لهذه المرحلة من حياة البطلة.

وأما الحذف فيقصد به "إغفال فترة زمنية طويلة، أو قصيرة من زمن الحكاية وعدم التعرض لما جرى فيها من أحداث"[٤]، ومن نماذج الحذف في شآبيب التي

---

(١) شآبيب ١٢

(٢) البناء الفني في الرواية د. حسن حجاب الحازمي دار النابغة ٢٠٢٠، ٤٢٩

(٣) شآبيب ٢١

(٤) البناء الفني في الرواية: ٤٣٧.

يستدل عليها بالنقط المتتابعة ما ورد في أحد فصول الرواية عن المصري محمد عدنان الفقي "لكنه رقد في الفراش، وراح لبعض الوقت يرثي لنفسه ويتصور دموع أمه الملهوفة عندما ... عندما تسمع بالخبر ولا تراه؛ لأنها فقدت البصر على كل حال سوف تلحق به سريعا جدا، فهي في آخر أيامها بلا شك وسرعان ما نام ..."[١]، فهذه النقط المتتابعة تطوي كثيرا من التفاصيل المتعلقة بالشخصية وتوحي بما يكتنف البطل من الألم النفسي والاغتراب الروحي والجسدي.

وفي موضع آخر تتراءى أمام عيني محمد عدنان صورة محبوبته الأثيرة (عزة) لكنها في هذه المرة تدفعه إلى الهجرة وتطلب منه الرحيل "وعندما دنا من النور أكثر وهو يتعثر رأى وجه عزة ، عزة هنا! الظلام والخلوة ..هذه فرصة قلما تسنح له، لكنه بالتأكيد لا يملك المزاج الرائق. لا أحد يمارس طقوس الغزل في مقبرته.

كانت عزة تتقدم نحو النور .. تبتعد.

ثم التفتت للخلف وقالت بصوت واضح:

- هاجِر
- لم يفهم فعادت تكرر بصوت أعلى:
- هاجر
- .....
- .....
- ثم تلاشى الحلم وأدرك أنه نائم في فراشه"[٢]

---

(١) ينظر: شآبيب ١١٥

(٢) شآبيب ١١٦

فالحذف هنا يطوي قصصا من المغامرات التي يحلو للبطل أن يسردها مصحوبة بالنشوة المعتادة لكنه آثر الحذف ترفعا عن سرد المشاهد المرفوضة ورغبة في تسريع السرد وإضفاء لون من التكثيف والتركيز على الأحداث القصصية.

المبحث الرابع: المكان

المكان عنصر أساسي في تشكيل العمل الروائي ومعيار من معايير القدرة الفنية للكتّاب، لذا عدّه باشلار مقياسا لأصالة العمل الروائي "العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"[١] والسر في الاحتفاء بالمكان سواء أكان حقيقيا أم متخيلا أنه يمثل الرابطة التي تنتظم الشخصيات والأحداث والزمن واللغة وسائر المقومات الفنية "ويسهم المكان بحضوره الفني المميز في العمل الروائي، وبما يحمله من أبعاد سياسية تاريخية واجتماعية ونفسية في خلق المعنى والدلالة ورسم الشخصية وتحديد أبعادها وإبراز الرؤية المعبرة عن موقف صاحبها من الكون والحياة والإنسان"[٢]

ودراسة المكان الروائي تهتم بالأماكن التى دارت حولها أحداث الرواية سواء في ذلك الأماكن المفتوحة كالمدينة والقرية والشارع والحارة والأماكن المغلقة كالمدرسة والمنزل والغرفة والمسجد والسجن... إلخ "ويوظف الكاتب بنية المكان في التمهيد لأحداث القصة، والتهيئة لعنصر الصراع فيها معتمدا في ذلك على إعمال عنصر الخيال، واللغة الواصفة التي يتحرك بها في أنحاء المكان، لإدخال المتلقي إلى مسرح الأحداث"[٣] .

وإذا كان المكان عنصرا أساسيا في الأعمال الروائية فهو في شآبيب محور من محاورها الأساسية، ولا غرابة فإن الرواية تقوم في الأساس على متخيل مكاني

---

(١) جماليات المكان، جاستون باشلار ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية بيروت لبنان، ط الثانية١٩٨٤، ٥

(٢) المكان الروائي في أعمال محمد جبريل د. سمية الشوابكة سلسلة حكايا٣

(٣) جماليات النص السردي، رؤية نقدية في أعمال أمين يوسف غراب د. عادل نيل، هـ. م. ع ٢٠١٥، ١٦٩

يتمثل في وطن بأرضه وسمائه وشخوصه وسائر مكوناته، وقد حرص الكاتب أن يحشد من المقومات ما جعله يجاوز كونه فكرة وحلما إلى عالم يموج بالحياة والأحداث فتراه يحتضن الشخصيات ويحرك الأحداث ويظهر تأثيره في سائر العناصر القصصية، أضف إلى ذلك تفنن الكاتب في أساليب تقديم المكان وسرد حكاياته وتصوير دقائقه وتفاصيله.

وفيما يلي عرض لتجليات المكان في شآبيب ومدى تأثيره في الأحداث والشخصيات وتأثره بها، وهنا يحسن الفصل بين المكان الذي تقطنه الأقليات العربية في البيئات الأوربية والأمريكية والأفريقية وما يكتنف حيواتهم من أحقاد وضغائن بحيث يمكن وصفه بالمكان الضد؛ والمكان الذي تمثله شآبيب وما يتطلع إليه المهاجرون من الانسجام والتلاحم بحيث يعد نموذجا للمكان الأليف، وفي هذا دليل على المنحى الأنطولوجي للمكان لدى الكاتب "ويقصد به الوجود المتخيل للتجربة الإنسانية غير المفصولة عن المكان بحيث يتم تجاوز النظرة الهندسية وجغرافية الملموس إلى قيم وصور متخيلة ومشاعر لها مع المكان تجارب إنسانية تتراوح بين الألفة والعداء"[1] فالمكان في شآبيب لا يقتصر على الوجود المادي أو الحيز الجغرافي وإنما يتعداه إلى التأثير في الشخصيات والتأثر بها حبا وكرها وانتماء ورفضا،

وأبدأ بتجليات المكان في أوسلو وأمريكا ومونوروفيا وسيدني ومصر، وما يسود هذه الأماكن من عادات وتقاليد وما تحمله من دلالات وإيحاءات، والبداية من العاصمة النرويجية أوسلو التي تشهد ألوانا من التمييز ضد الأقليات المسلمة، وهناك تقيم المعلمة التونسية أمينة التي تدرس للطلاب مسرحيات إبسن وسط أجواء

(١) جمالية الفضاء الروائي في رواية شآبيب لأحمد خالد توفيق، آمنة بلخضر علي مرابط ، كلية اللغات والآداب جامعة المسيلة – الجزائر ٤٢/٢٠٢٠

من العداء والكراهية "معلمة عربية مسلمة في هذا المناخ النازي الذي يجتاح أوروبا، لا بد أنها تحت المجهر في كل ما تقول وتفعل، ولتكونن لحظة طردها من المدرسة هي أمتع لحظة لدى كثيرين"(١) ولقد استعان الكاتب بأسلوب المفارقة (معلمة عربية مسلمة)، (مناخ نازي) لتسليط الضوء على مشاعر الكراهية ضد العرب والمسلمين والانتهاكات التي تواجهها الأقليات العربية، وتمهيد الطريق للفرار من هذه الأجواء العنصرية،

وكثيرا ما كانت أمينة تهرب من هذا الواقع المؤلم إلى عالم الذكريات التي تتراءى فيها صورة المكان العربي المتمثل في وطنها الأول "البيت الجميل الأبيض ذو النافذة الزرقاء والأشجار التي تحتضنه.. انسجام الخضرة مع اللون الأبيض.. مذاق الكسكس وزيت الزيتون.. والأب الذي يلبس الجلباب التونسي الجميل ويعتمر الطاقية الحمراء، الأم المنحنية دائما، اللاهثة إلى الأبد"(٢) والكاتب يتعمد وصف المكان بكل دقائقه مما يدل على رغبته في تعميق الإحساس بالوطن المتجذر في أعماق الشخصية، ولا غرابة فلا شيء يعدل الوطن وبخاصة لدى أولئك المغتربين الذين يتحرقون شوقا إليه ويتجرعون مرارة الاضطهاد والعنصرية في البعد عنه، وأهم مما سبق وأجدر بالتسجيل ارتباط وصف المكان بالعامل النفسي للشخصية؛ فترى الوصف يأتي محملا بالرعب والخوف تارة، والشوق والحنين تارة أخرى.

ولا يقتصر الارتباط بالمكان على الحنين إلى مواطن الذكريات وإنما يمتد أثره إلى بلاد الغربة حيث تقيم بطلة القصة في محاولة للتكيف برغم الظلم والاضطهاد "الشقة نظيفة مريحة، وفيها لمسات لا تخفى على أحد،.. سجادة صلاة مطوية على الأريكة.. قطعة من خشب أرابيسك على الحائط، رائحة بخور على الجدار، صور

---

(١) شآبيب ٢٣

(٢) السابق ٢٦

مقصوصة من مجلات لأم كلثوم وعبد الحليم حافظ، هناك صور عدة لقبة الصخرة التي يعتقد الناس أنها المسجد الأقصى، عندما تكون عربيا في بلد أجنبي فأنت تصير عربيا جدا.. عربيا أكثر من اللازم"[١] ففي هذا الوصف المحبب تحتل المكونات العربية حيزا كبيرا وأهم من ذلك أن هذه المكونات الرمزية قد استحالت في رؤية الكاتب عالما خياليا ينبض بالإحساس وتدب في أنحائه حركة الحياة مما يؤكد علاقة التأثير والتأثر بين المكان والشخصية وأثر العامل النفسي في رؤية المكان "فالراوي عندما يقوم بتصوير المكان فإنه يصفه بكل أبعاده ويوضح من خلاله الحالات النفسية القابعة في ذات الشخصية"[٢]

وسرعان ما تطغى صور العدوان والعنصرية على الذكريات المحببة والأجواء الحالمة وتستحيل العلاقة بالمكان عداوة وبغضا "إن وضعهم حرج في النرويج في هذه الأيام.. حرج في أوروبا كلها، ولو دهم الصبي عشرة منهم، ثم ضربوه فلن يتحدث العالم إلا عن المتوحشين القادمين من الصحراء ليفتكوا بأبنائنا"[٣] فالمكان واحد وهو بلاد النرويج لكن تصويره يختلف اختلافا واضحا تبعا للعوامل النفسية والمؤثرات الخارجية،

ولقد أذكت تلك الروح العنصرية أفاعيل رجال السياسة أمثال (داجفين) صاحب الوجه الشيطاني الذي كان كثيرا ما يصيح في خطاباته العدائية ومقارناته العنصرية "هكذا يتخلل العرب كل شيء هنا، كما يتخلل الصدأ أجزاء المعدن الصقيل الممتاز .. توطئة لأن ينهار كل شيء، تدرس في المدرسة على يد معلم عربي يلوث عقلك

---

(١) شآبيب ٣٢

(٢) تقنيات الخطاب السردي بين الرواية والسيرة الذاتية دراسة موازنة، أحمد عزي صغير، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن ٢٠٠٤م ٢٧٨

(٣) السابق ٣١

.. تشتري الطعام من بقال عربي يسممك.. تتداوى عند طبيب عربي يقتلك .. الاقتصاد يسيطر عليه العرب .. أنا أفتش عن الإسكندنافيين غزاة الشمال .. أبناء (أودين) فلا أجد .. ذهب أنفريد وجاسبار وأولاف وجاء محمد وأحمد وكريم"[١]، فالجنس العربي أضحى مكونا أساسيا في البيئات الأوربية وعنصرا فاعلا في شتى الميادين لكن نظرة الأوربيين إليه مازالت تسيطر عليها مشاعر الحقد والعنصرية.

وتتوالى الممارسات العدائية لترسم مزيدا من الصور الكريهة للبيئة النرويجية التي تحيط ببطلة الرواية (أمينة) لكنها بلغت أبعد آمادها حين أحاط بها خمسة من الشبان في سادية بغيضه في محاولة للاعتداء عليها وسط تجاهل الشرطة وسلبية المارة، ولم ينقذها من براثنهم سوى تلميذها أولاف[٢].

وفي موقف آخر نجد عصابة متطرفة تهاجم كل ما هو إسلامي في أوسلو سواء في ذلك متجر أزياء المحجبات وعربة الكشري ومطعم الشاورمة لتؤذن تلك الممارسات بالرغبة في الفرار والتطلع إلى وطن جديد، وهنا تتجلى صورة المكان الضد برغم المحاولات المتعاقبة للتآلف من جانب الشخصية العربية وهي صورة يهيمن عليها الظلم والعدوان ويسودها الاضطهاد والعنصرية.

كما شهدت الولايات المتحدة الأمريكية ميلاد أحد أبطال الرواية وهو مكرم ميخائيل الذي كان حريصا على التشبث بأصوله العربية منذ اختار لابنتيه أسماء عربية (عالية وصفية) بالإضافة إلى تمسكه باللغة العربية والأطعمة العربية، لكنه لم يسلم من الاضطهاد والعنصرية برغم نصرانيته وبرغم الصليب المعلق في أعناق ابنتيه "ابنتي عالية .. أمس في السوبر ماركت .. تتسوق كأي مواطن أمريكي مسالم يحترم نفسه .. أردف مكرم في شيء من الغل: أمريكي أبيض اندفع نحوها،

---

(١) شآبيب ٣٩

(٢) ينظر: شآبيب ٤٤

بعثر مشترياتها على الأرض بصق عليها.. وصاح اتركي بلادنا أيتها العاهرة، ورجل الأمن في المول لم يتدخل طبعا، تواطؤ الشرطة جزء أصيل من قصص الاضطهاد في كل مكان"[١]

والكاتب في هذا المشهد المؤلم يسلط الضوء على خصائص المكان وهيمنة العنصرية مع التركيز على عدد من السمات المكانية التي يتصف بها الأمريكيون كقسوة الطباع وتواطؤ الشرطة والمبالغة في العدوان برغم البشرة البيضاء ودعاوى الرقي والتحضر.

واستتبع الاضطهاد العنصري للأقليات العربية الاستسلام المؤلم للتقاليد الأمريكية التي جعلت رجلا عربيا لا يتجاسر على إعلان رفضه لهذه التقاليد، ويكفي دليلا على ذلك تلك الوصية البائسة التي أسرّ بها مكرم إلى صديق ابنته "عدني ألا تقبّل ابنتي ولا تعتصر جسدها بين ذراعيك .. عدني ألا تدمر بكارتها وطهرها .. عدني ألا تؤذي ما هو عربي فيها.. لن أجرؤ على أن أقول هذا علنا، لكنه اتفاق ضمني تراه عيني"[٢]

وتتوالى صور العداء الأمريكي لمكرم ميخائيل وابنتيه وها هي ذي ابنته تقع ضحية للمرة الثانية للعنصرية البغيضة من جانب بلطجي المدرسة (جيك كاسريل) "مشى حتى صار أمامنا وراح يترنح.. ثم قال ناظرا إليّ وسط البخر الكريه: أراهنك أنها مختتنة .. أليست عربية؟ كل العرب يفعلون ذلك"[٣] هذه الممارسات وغيرها كثير جعلت (مكرم) يرقب لحظة الانفجار ويتطلع ليوم الخلاص ويبذل قصارى جهده في السعي نحو الوطن الجديد.

---

(١) شآبيب ١٢٤

(٢) السابق ١٤٦

(٣) السابق ٨٤

وثالث الأماكن التي تشكل الفضاء الروائي لشآبيب هو العاصمة الليبيرية مونروفيا التي هاجر إليها علوي أبو زهرة والد البطل سليم قادما من ليبيا تحت وطأة الفقر والاضطهاد السياسي والاحتراب الداخلي، والسر في اختيار ليبيريا أن تكون بوابة الهجرة إلى أمريكا بحكم موقعها الجغرافي المتميز على شاطئ المحيط الأطلنطي[١] وفي مونروفيا التقى سليم بزوجته كريمة، ولم تكن مونروفيا تختلف كثيرا عن ليبيا فليبيريا بلد فقير أضنته الحروب الأهلية لكنها البلد التي اختارها والده ليحط بها رحاله كي يزاول مهنة التجارة منذ عقود، ولست بحاجة إلى إطالة الحديث عما تعرض له سليم وزوجه من المضايقات بدعوى السطو على أرزاق أولئك الأفارقة، "أنتم معشر العرب لا تكتفون بالسطو على وظائفنا وأعمالنا، بل تريدون الشوارع كلها لكم"[٢].

ولم يقف الأمر عند حد المضايقات أو التحرش بل تعداه إلى إزهاق روح الزوجة البائسة وطفليها أمام عيني الزوج المقهور "تهوي الهراوة بالسرعة البطيئة على رأس كريمة، نافورة دم تناثرت بالسرعة البطيئة...

لقد قتلوا المرأة العربية ...

يبدو أن الطفلين ماتا كذلك.."[٣]

وبدهي ألا يطول المقام بسليم في تلك البقعة الدامية بعد أن رزئ في زوجه وطفليه وسرعان ما ودّع قبرها متجها إلى مكتب الهجرة كي يحمله إلى شآبيب بينما تضطرم في نفسه مشاعر الحقد والرغبة في الثأر والانتقام.

---

(١) ينظر: جمالية الفضاء الروائي في رواية شآبيب لأحمد خالد توفيق، آمنة بلخضر علي مرابط كلية اللغات والآداب جامعة المسيلة – الجزائر ٢٠٢٠/٢٤

(٢) شآبيب ٧٨

(٣) السابق ١٩٠

وفي سيدني ينقلنا الكاتب من العوالم المغلقة إلى الأماكن الرحبة والبلاد الممتدة حيث ينتقل البطل محمد عدنان إليها فارا من سجون مصر فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار "كان هناك مبشرون شوفينيون يدعون لإبادة العرب حتى في أستراليا، فقد فرّ إلى أطراف العالم لكن السجن كان كبيرا بحق، سجن في حجم المجرات"(١).

وبرغم ما تهيأ لمحمد عدنان في أستراليا من عمل مصرفي كاف وحياة أسرية هانئة فإن الهجرة إلى شآبيب سرعان ما استحالت تحت وطأة العنصرية البغيضة رغبة ملحّة، "الفكرة التي كانت أقرب للدعابة على مائدة الغداء صارت وسواسا فهاجسا فرغبة كاسحة، لم يتصور محمد أنه سيهاجر مرة ثانية .. هذه المرة ستكون زوجته معه"(٢).

وعلى هذا النحو يمضي الكاتب في رسم صورة المكان في العواصم الأوربية وهي صورة تهيمن عليها مشاعر السخط والغضب نظرا للممارسات العنصرية تجاه الأقليات العربية مما مهد السبيل أمام المضطهدين للهجرة، ولقد نجح السارد في إضفاء المشاعر السلبية على المكان وانطبعت لغته بطابع الحزن والألم، أضف إلى ذلك براعته في وصف البيئات الأوربية والأمريكية والإفريقية بطريقة لا تقل في دقتها عن وصف المكان في مصر للدلالة على التعاطف مع سائر الضحايا ورفض الاضطهاد والعنصرية.

أما جزيرة شآبيب فتقع في بقعة قصيّة من قارة أستراليا "بابوا غينيا الجديدة هي نصف مساحة غينيا الجديدة، وكانت تحت الهيمنة الأسترالية حتى العام

---

(١) شآبيب ١٩٦

(٢) السابق ٢١٢

١٩٧٥...وتشتهر دائما بشكلها الجغرافي الذي يذكرك بريشة الطائر"[١] وفي شآبيب تتآزر الأجناس والقوميات ويتلاقى السوري والعراقي والمصري واللبناني والتونسي، ويجتمع المسلم والنصراني والإخواني والماركسي وينصهر الجميع في بوتقة الوطن الجديد، ولقد تفنن الكاتب ـ كما أسلفنا ـ في أساليب التقديم لتلك الجزيرة النائية ورسم مكوناتها وتصوير عاداتها وتقاليدها سواء في ذلك السكان الأصليون والمهاجرون فضلا عن أجوائها ولغاتها وسائر مكوناتها "وهي بلاد غريبة حقا.. تنوع جغرافي وعرقي وبيئي، يعيش على الجزيرة قوم بدائيون يمارسون الصيد والقنص، لكنهم لا يعرفون بكثرة المناجم الثرية التي يملكونها، وقد ظلوا لفترة طويلة يمارسون أكل لحوم البشر، ويعد البركان الخامد أبرز المعالم الجغرافية التي تحيط بهذه الجزيرة النائية، وكانت لغة التفاهم واحدة طبعا هي العربية، فكلهم عرب منهم من جاء من الصين أو بوليفيا أو ألمانيا، وبعضهم كانت لغته العربية ضعيفة جدا، لكن القوانين الصارمة التي وضعها مكرم كانت تحتم استخدام العربية فكلهم عرب، وكلهم يعرف طارق بن زياد وشعر المعري والمتنبي ويسمع أم كلثوم وفيروز"[٢].

أما نظام الحكم في شآبيب فيتمثل في مجلس الحكماء الذي قام مكرم بتشكيله لإدارة الأمور في الدولة الوليدة "وهناك في ظل القماش المخيط يجلس الحكماء .. يمكن أن تعرف منهم أحمد شاهين الفيلسوف الإسلامي .. محمود راغب الشاعر والروائي.. ألبير سعادة أستاذ العلوم السياسية.. سمير الشيخ أستاذ القانون الدولي.. والأديب راغب شكري صاحب كتاب البحث عن وطن.. جورج مندوه الطبيب

(١) شآبيب ٢١٠

(٢) السابق ٢٣٦

والأديب.. مكرم خليل نفسه.. هناك مجلس حربي مصغر يتكون من سليم وجاسم"[١].

وقد حرص مجلس الحكماء بقيادة مكرم ميخائيل على وضع الأساس للاهتمام بالنواحي الاقتصادية والتعليمية والفنية، "لدنيا وزير دفاع، ووزير عدل، ووزير ثقافة، ووزير زراعة"[٢]، "كان مكرم يحلم بجامعة شآبيب.. بمستشفى شآبيب.. بالمدارس.. بالعملة، بالمصارف، بمقعد الأمم المتحدة وجوازات السفر"[٣].

والكاتب هنا ينحو منحى عجائبيا وهو المنحى الذي يعد محورا لعدد غير قليل من أعماله الروائية، "وفي الرواية العجائبية يصور الروائي عوالم جديدة تخضع إلى قوانين غير مألوفة، يكشف من خلالها عن خبايا المجتمع وعن نظام الحكم والأوضاع التي يعيشها الشعب"[٤] ولا شك أن هذا المسلك الفريد يأسر القارئ ويدفعه إلى القراءة الواعية والتفاعل الإيجابي فضلا عما يحمله في طياته من التعبير عن الرؤى السياسية والانتماءات الفكرية بطريقة غير مباشرة.

يؤكد ما سبق حرص البطل مكرم ورفاقه على تزييف التاريخ في محاولة لخلق تراث أدبي يوهم بالوجود العربي القديم في تلك البقعة القصيّة من بقاع الكرة الأرضية "كانت الحفريات تدور على قدم وساق بناء على تعليمات صفوان بحثا عن آثار دولة الحارث بن مسعود.. هناك بقايا مسجد الياقوت والقصر .. بقايا ابن الحارث.. لا بد من وجود آثار تدل على هذا، وعلى أن العرب وجدوا هنا"[٥] وإمعانا

---

(١) شآبيب ٢٥٥

(٢) السابق ٢٣٥

(٣) السابق ٢١٧

(٤) العجائبي في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق ٤

(٥) شآبيب ٢٧٠

في تشكيل المكان ورسم دقائقه يشير الكاتب إلى العملة السائدة في تلك البيئة البدائية "يتعامل هؤلاء بالملح والخرز والزجاج الملون والقواقع الملونة.."[١]

وهكذا تتجلى ملامح شآبيب وتتراءى لنا صورة واضحة لمعالمها السياسية والاجتماعية والثقافية مما يؤكد احتفاء الكاتب بالمكان ووصفه لأبعاده وتصوير عاداته وتقاليده وسائر مكوناته إمعانا في إضفاء مزيد من الواقعية على المشاهد الروائية، وأهم من ذلك وأجدر بالتسجيل إظهار تأثر الشخصيات والأحداث بالمكان وتأثيرها فيه سواء في ذلك المكان الضد المتمثل في النرويج ومونروفيا وأمريكا وسيدني ومصر، والمكان الأليف المتمثل في الوطن الجديد الذي اختار له الكاتب اسم (شآبيب).

---

(١) شآبيب ٢٤٦

المبحث الخامس: اللغة والأسلوب

تعد اللغة أهم عناصر الرواية، ولولا اللغة ما كان للعناصر البنائية التي تنهض عليها الرواية وجود"[١] وتتجلى لغة الرواية في ثنائية السرد والحوار، فبهما يحلق الكاتب في أجواء الكتابة الروائية، وعليهما يعتمد في التعبير عن رؤيته القصصية، وتتنوع مستويات السرد في رواية شآبيب بين اللغة التقريرية واللغة التصويرية واللغة التعبيرية واللغة المضمنة.

أما اللغة التقريرية فهي التي تتسم بالوضوح وتعبر عن المعنى بطريقة إخبارية مباشرة، فليس بالضرورة أن يعتمد الكاتب اعتمادا كليا على اللغة الأدبية الحافلة بالصور والمجازات وإنما يستعين بالأسلوب التقريري المباشر في كثير من الأحيان، ولنأخذ مثلا قول الكاتب عن بلاد النرويج "هذه بلاد جديدة .. بلاد باردة يتكلم أهلها لغة عجيبة، البلاد اسمها النرويج والمدينة التي أقاموا فيها اسمها أوسلو، كانت طفلة ولم تفهم جيدا أن هذه كانت آخر فرصة للهجرة وأن النرويج أغلقت باب الهجرة منذ ذلك الحين في الواقع فعلت أوربا كلها كذلك"[٢].

فالكاتب في تلك الأسطر أشبه بمن يقدم تقريرا عن بلاد النرويج والملابسات المصاحبة للهجرة إليها، وبرغم ما تتسم به اللغة من جفاف وتقريرية فإنها تحقق نوعا من التوازن بين المستويات اللغوية وتستوقف القارئ حتى يتبين معالم الرؤية القصصية وبخاصة لدى هيمنة اللغة التصويرية ونظائرها من المستويات اللغوية الأخرى.

---

(١) بناء الرواية، عبد الفتاح عثمان مكتبة الشباب د ت ١٩٩

(٢) شآبيب ٢٦

وأما اللغة التصويرية فيقصد بها "أن ينقل الأديب إلى قارئه المشهد الذي يقع عليه بصره فيصوره تصويرا واقعيا ويبرزه في تشخيص معبر"[١] فالكاتب يعمد إلى تمثيل الأحداث وتصوير الواقع بواسطة الجمل والعبارات مما يظهرنا على أهمية اللغة التصويرية "وعادة ما يوظفها الروائيون لعرض الأحداث الدرامية المهمة والكشف عن الشخصيات الروائية ولإبطاء السرد وبث الحيوية والتلقائية فيه"[٢] وبدهي أن تحظى اللغة التصويرية بحفاوة الأدباء والكتّاب بوجه عام والكاتب أحمد خالد توفيق بشكل خاص.

ومن نماذج اللغة التصويرية في رواية شآبيب ما جاء على لسان البطل سليم "لو كان بوسع المرء أن يغرس الخنجر في مخه ليقتطع الجزء الذي يحمل ذكريات معينة لغدت الحياة جنّة، وما تعلمه من خبراتك أنك مهما دخنت من أعشاب مخدرة وانغمست في خمر ولهو فالذكريات القذرة تظل هناك"[٣] فالكلمات تنبض بالقسوة وتتفجر الدماء الغزيرة من أشلائها المبعثرة، والأجواء تكاد تعبق بالروائح المنفرة والذكريات الأليمة، والمقطع بجملته يستمهل القارئ كي يتأمل معاناة المهاجرين ويصب جام الغضب على أولئك العنصريين وممارساتهم البغيضة.

ولن أردنا مزيدًا من نماذج اللغة التصويرية فلنتأمل تصوير الكاتب لثورة بركان جاواتامي وما أشاع بين طوائف المهاجرين من الخوف والهلع وكيف كانت ثورته إيذانا باستحالة الحياة في شآبيب "عندما بدأت الاهتزازات الطفيفة في الأرض تحت الإقدام توتر الجميع .. ووقفوا يتبادلون النظرات، عملاق غاف تحت الأرض يرى

---

(١) المعجم الأدبي جبور عبدالنور، دار العلم للملايين ، ط الأولى١٩٧٩، ٦٩

(٢) بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ سيزا أحمد قاسم الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٤، ٩٠

(٣) شآبيب ١٢

كوابيس مزعجة ويحك رأسه منذرا بالنهوض، للحظة تصلب الجميع مذعورين، وتسربت حالة من الهستيريا إلى الواقفين بكى الأطفال وتشنجت النساء ... راح القوم يتصايحون .. ماذا يحدث ؟ هل هي القيامة ؟ هل هذا هو الضباب الذي هو من علامات الساعة ؟ هل يلى هذا شروق الشمس من المغرب؟"[١] وهكذا تسهم اللغة في تصوير الأحداث وتجسيد الشخصيات، بل لقد أسهمت في تقديم مشهد حافل بالحركة نابض بالحياة.

وأما اللغة التعبيرية فهي التي "تعبر عما في النفس من مشاعر وأحاسيس وعواطف وأزمات"[٢] ولست بحاجة إلى إطالة الحديث عن أهمية اللغة التعبيرية بالنسبة للكاتب "فهي تمنح الروائي فرصة سانحة للتنويع في مستويات اللغة السردية، وتقديم مستوى لغوي جديد يتميز بالشاعرية نظرا لقربها من الذات وتعبيرها عنها وهذا ما يجعلها قريبة من جوّ الشعر"[٣].

فاللغة التعبيرية لغة حافلة بالصور البيانية وما تتضمنه من التشبيهات والاستعارات والكنايات وسائر المجازات، وها هو ذا كاتبنا يقول في وصف البركان "من بعيد ترى البركان الخامد تحف به الغابات الاستوائية كأنه رأس كثيف الشعر دبّ الصلع في مركزه، يصعب أن تصدق أن هذا العملاق الميت كان متيقظا يوما ما، لا شعوريا يتحرك الناس في صمت من حوله حتى لا يستيقظ مغضبا متعكر المزاج"[٤]

---

(١) شآبيب ٣١٨ باختصار

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة ، كامل المهندس، مكتبة لبنان ١١

(٣) البناء الفني في الرواية ٣٢١

(٤) شآبيب ٢٢٥

والمقطع ملئ بالصور الجزئية التي تتآزر لترسم صورة كلية لهذا البركان الغاضب (كأنه رأس كثيف الشعر دب الصلع في مركزه)، (هذا العملاق الميت كان متيقظا) ، (حتى لا يستيقظ مغضبا متعكر المزاج)، فهذه اللغة تقترب كثيرا من لغة الشعر في التكثيف والتركيز، وتوجز في كلمات محدودة حشدا من المعاني وألوانا من الإيحاءات.

ويقول مصورا تعلق المهاجرين بأوطانهم وعدم اكتراث الأوطان بهم "في البداية أنت تقاوم، تبكي، تتمسك بثدي البلاد محاولاً أن تظفر بقطرات لكنك في كل مرة تتناول ركلة قاسية، وفى النهاية تتعلم أن تكره أمك، تتعلم كيف لا تطيق وطنك، وكيف يضيق عليك بينما يتسع العالم الخارجي"[١] فالوطن في هذا المقطع البائس أشبه بالأم التي يتعلق بها طفلها وعبثا يحاول التشبث لكنها لا تعباً بمعاناته ولا تلقي بالا لآلامه برغم قناعته بالقطرات اليسيرة، ثم تقذف به في قسوة نحو المصير المجهول، فلا غرابة أن يستحيل الحب كرها وتغدو الوطنية عداوة ويمسي الحنين هجرا و فراقاً.

وفي إطار التنويع في مستويات اللغة السردية نجد الكاتب في كثير من الأحيان يستخدم اللغة التسجيلية "وهي تلك اللغة المثقلة بمصطلحات البيئة الخاصة التي تنتمي إليها شخصيات الرواية"[٢] وينطبق هذا الوصف على لغة أحمد خالد توفيق الزاخرة بالمصطلحات العلمية والعبارات التي تنتمي إلى الحقل الطبي سواء أكان ذلك عن قصد أو عن غير قصد "بركان جواتامى قد بدأ يتدفق بالحمم كأنه خرّاج مفتوح ينزّ منه الصديد، لونه الأحمر جعله أقرب إلى الخرّاج فعلا، وكأن يدا كونية تمتد لتعتصره أكثر تفرغه مما فيه ثم تضمد الجرح وتضع فيه فتيلا يمتص ما

(١) شآبيب ٦٦

(٢) البناء الفني في الرواية ٥٣٠

بقي منه"[١] ففي هذا المقطع وغيره كثير على مدار صفحات الرواية نلمس هيمنة المفردات الطبية على لغة السرد وهي سمة لا تخلو من دلالة على التفرد والأصالة.

وأما اللغة المرجعية أو المضمنة "فهي التي يمكن إرجاعها إلى مصدر معروف أخذت منه كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية والنثرية"[٢] وأهم ما يميز هذا النمط اللغوي أنه يكشف عن البعد الثقافي للشخصيات ويدل على انتماءاتهم الفكرية وبخاصة حين ينجح الكاتب في توظيف تلك النصوص بطريقة فنية، وتنداح دائرة اللغة المرجعية في مواضع كثيرة من رواية شآبيب مما يدل على تآزر الماضي والحاضر والمستقبل، وتضافر القديم مع الجديد وانصهار التاريخي والحديث.

والمتأمل في هذا النمط اللغوي يلحظ هيمنة العبارات الثورية التي تدفع المرء دفعا إلى الرفض للأوضاع الجائرة والتمرد على الممارسات العنصرية البغيضة، وأظهر النماذج على ذلك تمثل الكاتب بأبيات محمود درويش على لسان البطل مكرم تعقيبا على معاناته في أمريكا:

"أنا عربي
أنا اسم بلا لقب
أبي من أسرة المحراث
وجدى كان فلاحا بلا حسب ولا نسب"[٣]

ويظهر أن الكاتب راقه هذا المسلك الثوري فتراه يكرره في سياقات كثيرة

---

(١) شآبيب ٣٤
(٢) البناء الفني في الرواية ٥٣٧
(٣) شآبيب ٦٣

ومتشابهة[١].

والمقطع التالي يتضمن أبياتا من شعر فاروق جويدة جاءت على لسان محمد عدنان حيث يصور معاناته في غياهب السجون الحسية والمعنوية:

"السجين كبير يا سادة .. السجن كبير

إن فتحوا الباب فلن أخرج .. فالسجن كبير"[٢]

ففي هذين السطرين الشعريين يطوي الكاتب قصصا من المعاناة والألم داخل السجن وخارجه.

ومن أظهر نماذج اللغة المضمنة في رواية شآبيب ما يسمى بالتناص الامتصاصي بمعنى "أن يستلهم الشاعر مضمون نص سابق أو مغزاه أو فكرته، ويقوم بإعادة صياغة هذا المغزى أو المضمون أو الفكرة من جديد بعد امتصاصه وتشربه من دون أن يكون في النص الجديد حضور لفظي واضح أو ذكر صريح للنص السابق"[٣]

وفى هذا الشكل من أشكال التناص يقول الكاتب على لسان الشاعر أبي المنذر الشآبيبي واسمه الحقيقي أبو منذر سلمان البغدادي وهو صاحب القصيدة المشهورة:

"زارت شآبيب الغيوث ديارنا فإذا شآبيب ارتوت بالصيب

فإذا الجبال اخضوضرت وترعرت فالعيش في الياقوت أضحى مطلبي"

---

(١) ينظر: شآبيب ٢٢٩.

(٢) السابق ٢٢٩.

(٣) تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي، الدار البيضاء ط الثانية ١٩٨٦، ١٢٥

(٤) شآبيب١٥٦

ففي الأبيات المذكورة – بالإضافة إلى توظيف الكاتب للأسماء العربية – يمتص الكاتب ألوانا من شعر الوصف والفخر العربيين في محاولة لإضفاء الصبغة التاريخية على الوطن الجديد، ويلحظ القارئ أن أحمد خالد توفيق عمد إلى استلهام التاريخ الإسلامي والصياغة العربية وسكب فيها من روح البيئة الجديدة في محاولة لتأكيد مزاعم المؤسس لهذا الوطن وإيهاما بأن جذوره ممتدة في أعماق التاريخ.

وثمة ظاهرة لا يمكن إغفالها في هذا السياق وهي ما يمكن أن يسمى بالتناص الذاتي، فتجد الكاتب في مواضع كثيرة يسترجع نصوصا سابقة كقوله مثلا على لسان البطل سليم "لوكان بوسع المرء أن يغرس الخنجر في مخه ليقتطع الجزء الذى يحمل ذكريات معينة لغدت الحياة جنة ... "[1] ولقد عمد الكاتب إلى تمييز النصوص المسترجعة في طريقة الكتابة إيذانا بتكرار ما صاحبها من الألم، وحرصا على الإفادة مما يكتنف تلك العبارات البائسة من القهر والمعاناة.

أما أنماط السرد فقد اعتمد الكاتب على طريقة السرد بضمير الغائب كما هو الحال لدى الأعم الأغلب من كتّاب الرواية "وفي هذا النوع من السرد يكون الراوي كلي المعرفة مهيمنا، خارج نطاق الحكي، يقف وراء الأحداث والشخصيات ويوجهها من بعيد نحو مصائرها"[2].

وسوف نلحظ أن أحمد خالد توفيق لا يقنع بدور الراوي كلي العلم وإنما نراه في كثير من الأحيان يستشرف الأحداث ويعلق عليها ويتعاطف مع أبطالها وسائر شخصياتها، ولنأخذ مثلا تلك الأسطر التي تصور مشهدا من حياة (أمينة) في النرويج: "معلمة عربية مسلمة في هذا المناخ النازي الذي يجتاح أوربا، لابد أنها

---

(١) ينظر: شآبيب١٢٥، ٢٧٤.

(٢) ضمائر السرد في الخطاب متعدد الأصوات، نذير جعفر جريدة الثورة دمشق مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر مقال بتاريخ ٢٠١٠/٣/٢٣

تحت المجهر في كل ما تقول وتفعل، ولتكونن لحظة طردها من المدرسة هي أمتع لحظة لدى كثيرين"[١]، فالكاتب يصف حال العرب والمسلمين في تلك البيئات العنصرية ويصور ما تعانيه الشخصية من القلق والتأزم وتظهر عباراته ألوانا من التعاطف مع العرب في البيئات النازية.

وحين يبلغ التأزم ذروته في أمريكا تتصاعد نبرة السرد على النحو التالي: "الإنسان شر .. لاشك في هذا، كل البلهاء معدومي الخبرة الذين يتكلمون عن الجوهر الطيب للإنسان فليخرسوا من فضلهم فليخوضوا حربا كالتي خاضها ثم يتكلموا عن الجوهر..."[٢].

ولا يقتصر السارد على استشراف الأحداث والتعاطف مع الشخصيات وإنما يتفاعل معها بما يكشف عن ثقافتها وتكوينها النفسي مستعينا في الوقت ذاته بعدد من التقنيات السردية كالمنولوج والحلم وغيرهما من التقنيات التي تكسر رتابة السرد وتشحذ اهتمام المتلقي،

أما المنولوج فهو "أسلوب فني هدفه تقديم المحتوى الداخلي أو النفسي للشخصيات"[٣] ولقد ظهرت الحاجة إلى تلك التقنية المهمة للكشف عن الخبايا النفسية لعدد من شخصيات الرواية، ومن نماذج المنولوج الداخلي الذي يصور ما يعتمل في نفس البطل سليم من مشاعر مضطربة: "ها أنتذا تجلس وحيدا في الإضاءة الخافتة، اعتدت أن تبقى وحيدا في الظلمة، وأن تفتح صوت المذياع عاليا

---

(١) شآبيب ٢٣

(٢) السابق ٥٤

(٣) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش، بيروت، دار الكتاب اللبناني ط أولى ١٩٨٥، ٢٠٦

حتى لا تسمع صوت جمجمة تتهشم، كنت على الأرض ترى كل شيء بشكل مقلوب وتسمع من يقول إنك صرت وحيدا لقد رحلت الزوجة ورحل الطفلان" (١).

وهذا المنولوج يمثل نوعا من اجترار الذكريات ومعاتبة النفس ورثاء الذات والاستحضار البائس لصور الاضطهاد التي ينوء بها كاهل البطل المعذب، أضف إلى ذلك أنه يستمهل الأحداث ويبطئ السرد ويحقق نوعا من التشويق والإثارة وكسر الرتابة السردية.

والمنولوج التالي يظهرنا على ما يدور في ذهن مكرم ميخائيل من القلق وما يعتمل في نفسه من مخاوف وما يتهدد حلم شآبيب من الانهيار:

- كان يردد لنفسه ألف مرة في اليوم:
- (سوف ننجح)
- فيرد عليه صوت داخلي:
- بل هو الفشل .. ولسوف تتوسل لجوناثان إيرهارت كي يجري ترتيبات عودة العرب لبلادهم البديلة .. سوف يذكرك التاريخ كنبي كذاب أضاع مستقبل الآلاف وراء وهم
- عندها كان يقول انفسه من جديد:
- سوف ننجح ويداعب لحيته القصيرة في عصبية"(٢)

ولقد نجح الكاتب من خلال المنولوج في الكشف عن الخبايا النفسية للشخصية والتعبير عما يساورها من مخاوف التردد بين الفشل والنجاح، وهذا ما يتجلى بصورة أكثر وضوحا من خلال تتبع الكاتب لمحمد عدنان المصري وتسليط الضوء على البعد النفسي لهذه الشخصية منذ ظهورها على سطح الأحداث حتى

---

(١) شآبيب ١٨٤

(٢) السابق ٢١٨

النهاية البائسة في غياهب السجون "الليل والنجوم .. عزة تتجرد من ثيابها .. مختار والمنشورات وواحد من الرفاق هو بالتأكيد هو الذي أبلغ أمن الدولة .. أبو مندور يموت في الظلام .. المصرف والناس يتزاحمون بانتظار الدخول ، كل هذه الرؤى تتزاحم في ذهنه وهو يدرك أن هناك دقائق تفصله عن مفارقة هذا كله ..."(١)

فهذه الأسطر وما بعدها تعكس ألوانا من الذكريات المتنوعة والمشاعر المتداخلة التي هيمنت على حياة البطل المصري الذي وقع ضحية للتيارات الدخيلة والأفكار المنحرفة، ولست أبالغ حين أزعم أن الكاتب توسل بالمنولوج للتعبير عن رؤيته السياسية وانتماءاته الفكرية التي اختار لها هذا المسلك الرمزي والطريقة غير المباشرة.

وأما الحلم فيعد "وسيلة للكشف عن طموحات الشخصية وبخاصة التي تعجز عن تحقيقها في اليقظة، كما يستخدمها الكاتب في الأوقات التي تعاني فيها الشخصية من الإحباط والتوتر والأزمات النفسية"(٢).

ومن نماذج الحلم ما يصور فيه الكاتب حالة الاضطراب التي تكتنف محمد عدنان في سجن الكون "هناك كان وحده في الظلام، يمشي وسط ممرات وعرة متشابكة .. أقرب لكهف عملاق مظلم، هناك هوابط تتدلي من السقف مع تراكيب جيولوجية غريبة، كان يتحسس في الظلام شاعرا بالورطة التي هو فيها .. سوف يضل طريقة إلى أن ينهك ويسقط ويموت، صرخ مرارا لكن – ككل الأحلام – كان الصراخ ينحشر في حلقه أو هو أوهن من أن يسمع"(٣).

---

(١) شآبيب ١٠٨

(٢) بناء الرواية ٣١١

(٣) شآبيب ١١٥

ففي هذا الحلم تتبدى صورة محمد عدنان الشاب المصري المأزوم نتيجة لما لاقاه من السجن تارة والمعاناة في العمل تارة والعلاقات العاطفية المضطربة تارة أخرى، وبتعبير آخر فإن هذا الحلم المتشابك يسلط الضوء على البعد النفسي لشخصية تتخبط في طريق موحش وتتجاذبها تيارات فكرية متضاربة بينما تبدو عاجزة عن الوصول إلى هدف أو تحقيق غاية.

أما الرافد الثاني من روافد اللغة السردية في (شآبيب) فهو الحوار، ويقصد به "العبارات المتبادلة بين شخصيات القصة أو بعضها في موقف من المواقف على هيئة جمل متبادلة بين الشخصيات قد تطول أو تقصر حسب الغرض الذي من أجله كان الحوار"(١).

وتتسم لغة الحوار في شآبيب بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني والبعد عن الغموض والتعقيد مع إيراد بعض الكلمات العامية، أضف إلى ما سبق من سمات الحوار أنه يعبر عن مشاعر الشخصية ويكشف خباياها النفسية ويبرز مشاعرها تجاه الأحداث، فضلا عن التناسب مع المستوى الثقافي للشخصيات برغم التنوع الجغرافي والانتماءات الأيدلوجية، ولنأخذ مثلا هذا الحوار بين سليم وأمينة:

"التقت الأعين فأجفلت، لكنه هدأ نوعا عندما رآها قال: معذرة .. أنا لا أطيق هؤلاء القوم

– والسبب؟

لأنهم .. لأنهم يعوقوننا

لم تفهم ما يريد..

بنفاد صبر يتكلم كأنه قال كل هذا من قبل لا تضيعي وقتنا لو سمحت

---

(١) فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت ١١٨

نافذ الصبر إلى أقصى حد"[١]

والحوار يكشف عن الخبايا النفسية للبطل سليم وما يضطرم في صدره من القسوة التي تبلغ حد السادية والرغبة في إبادة أهل الجزيرة لأن وجودهم يهدد فكرة إنشاء الوطن الجديد.

ومن خلال الحوار الذي دار بين زهرة وأمينة نتعرف على أسباب الفرار وبواعث الهجرة:

"- سألتها زهرة وهي تجفف دموعها:

- هل تنوين الرحيل؟

- قالت أمنية وهي تتذكر النيران التي تحرق شقتها، تتذكر الدماء التي تغطي الشارع .. تتذكر الصراخ ... تتذكر دموع سميرة

- بالتأكيد:

- وكيف تنوين العيش في المجتمع الجديد ؟ لا أعتقد أنهم بحاجة لمعلمات للأدب النرويجي.

- قالت أمينة في حماسة: لكنهم بحاجة إلى بشر .. بحاجة إلى أمهات... بحاجة إلى نساء عاملات باسلات سوف أكون هناك"[٢]

أما لغة الحوار فهي العربية الفصحى تتخللها في بعض الأحيان كلمات عامية تنتمي إلى عدد من اللهجات العربية:

"أمينة ! كيف الحال ؟

- باهي

- أمينة: كيف الحال ؟

---

(١) شآبيب ٢٤٦

(٢) شآبيب ١٧٤

– مزيان

نسوة عربيات سمراوات البشرة من حولها جنسيات عربيات كثيرات (بارشا) كثيرات (جدا) كثيرات (أوي) كثيرات (واجد)"[١]

هذا الحشد المتعمد للهجات المتعددة يدل على الاتساع الجغرافي والتنوع اللغوي وتعدد الأجناس التي ترغب في الهجرة وتنشد الاستقرار وتحلم بالوطن.

هذا ولقد شهدت الرواية لونا من تداخل الأجناس الأدبية وبتعبير أدق تداخل المسرحية مع الرواية وهي ظاهرة انداحت دائرتها لدى كثير من الكتاب وهو ما يسمى (مسرحة الرواية) "فلقد شاع في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي دخول العناصر الدرامية في الرواية بعد ما أكد هنري جيمس على ضرورة مسرحة الواقع فيها، وقد رأى أن هذه الطريقة هي ضرورة جمالية في الدرجة الأولى، فأن تعيش الحدث كأنه يجرى أمامك أجمل من أن تسمع به بعد انتهائه"[٢].

ولقد صاغ أحمد خالد توفيق أحد فصول روايته صياغة مسرحية أساسها الحوار واختار لهذا الفصل عنوان (الرواد) مذيّلا إياه بعبارة (مسرحية من فصل واحد) وتدور أحداث هذا الفصل المسرحي فوق ظهر السفينة التي أقلّت المهاجرين إلى شآبيب، ولقد اتخذ الكاتب من هذه السفينة مسرحا واختار له ديكورا يتمثل في البحارة الذين يحملون البنادق والأعلام الأمريكية بالإضافة إلى الشخوص والنماذج البشرية التي تتداول الحوار فيما بينها على النحو الذي دار بين أمينة وابنتها سميرة:

". أمينة: هل تسمعين؟ (صوت النوارس)

---

(٢) شآبيب ٢١٠

(٢) تداخل الأجناس الأدبية وأثرها الجمالي في النص المسرحي العربي، حيدر على الأسدي، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط أولى ٢٠١٨م، ١٤٤

–سميرة : ماذا أسمع بالضبط؟

– أمينة ! هذا صوت النوارس نحن نقترب من البر.

سميرة: الحقيقة أن رحلتنا طالت فعلا .. لقد درنا حول العالم كي نجد أنفسنا، ولا أحسبنا سنجد أي شيء في النهاية"[١].

وتتسم هذه الظاهرة بمميزات كثيرة منها "استلهام ميزة درامية وهى العرض، أي: رسم الأحداث واختفاء الراوي خلف تلك الأحداث التي تسيرها الشخصيات كما في المسرحية تماما"[٢] وأهم من ذلك وأجدر بالتسجيل أن الكاتب نجح من خلال الحوار في تلخيص الأحداث وكسر الرتابة السردية وتحقيق الانسجام والتلاحم بين الحوار المسرحي والأحداث القصصية وأسهم في الكشف عن السمات النفسية والمستوى الثقافي للشخصيات.

(١) شآبيب ١٩٨

(٢) تداخل الأجناس الأدبية ١٤٥

الخاتمة

- تعد رواية شآبيب للكاتب أحمد خالد توفيق من الروايات التي تعبر عن المقاصد الفنية للكاتب وتتجلى فيها أدوات التشكيل الفني، وتتلخص الرواية في البحث عن وطن يضم الأقليات العربية المضطهدة في شتى بقاع الأرض، وتعد العتبات أظهر المداخل إلى العالم الروائي في (شآبيب) نظرا للترابط الشديد والالتحام التام بين العتبات والمتن الروائي سواء في ذلك العنوان والغلاف والمقتبسات النصّية.
- تضم الرواية حشدا من الشخصيات والنماذج البشرية وكلها وقعت فريسة للاضطهاد والعنصرية سواء في ذلك مكرم ميخائيل الذي يقيم في أمريكا، وسليم في مونروفيا، وأمينة في النرويج، ومحمد عدنان في مصر، إلى غير ذلك من الشخصيات التي انصهرت في إطار الفكرة العامة للرواية ولقد نجح الكاتب في الكشف عن سماتها النفسية وأبعادها المختلفة بطريقة غير مباشرة.
- يعد عنصر الزمن من العناصر التي أدت دورًا مهمًا في التعبير عن الرؤية الفنية للكاتب سواء من حيث الزمن الروائي وما يكتنفه من تقنيات فنية كالاسترجاع والاستباق أو من حيث الزمن التاريخي وما يحفل به من الإثارة والتشويق.
- إذا كان المكان عنصرا من عناصر الأعمال الروائية فهو في (شآبيب) محور من محاورها الأساسية، فالرواية تقوم على متخيل مكاني يتمثل في وطن بأكمله، وقد حرص الكاتب أن يحشد له المقومات التي تجعل منه عالما يموج بالحياة والأحداث مع تسليط الضوء على سائر الأماكن التي تقطنها الأقليات قبيل هجرتها إلى شآبيب.
- تجلت لغة الرواية في ثنائية السرد والحوار، ولقد تنوعت مستويات لغة السرد بين اللغة التقريرية والتصويرية والتعبيرية والمرجعية، أما أنماط السرد فلقد اعتمد الكاتب اعتمادا كبيرا على طريقة السرد بضمير الغائب مع التوظيف البارع لعدد من التقنيات السردية كالحلم والمنولوج، أما الرافد الثاني من روافد اللغة

السردية فهو الحوار، ولقد استعان به الكاتب للتعبير عن مشاعر الشخصيات والكشف عن خباياها النفسية واتسم بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني والبعد عن الغموض والتعقيد والتناسب مع المستوى الثقافي للشخصيات مع إيراد بعض الكلمات العامية، كما نجح الكاتب في مسرحة الرواية التي تعد لونا من تداخل الأجناس الأدبية.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- آلة الزمن هربرت جورج ويلز ترجمة كوثر محمود محمد، مؤسسة هنداوي ٢٠١٢
- شآبيب، دار الشروق الطبعة الثالثة ٢٠١٩
- وعد جوناثان، سلسلة فانتازيا، روايات مصرية رقم ٦٣
- يوتوبيا، الطبعة السادسة، دار الشروق ٢٠١٤

ثانيا: المراجع:

- البطل في الرواية السعودية د. حسن حجاب الحازمي دار النابغة ٢٠١٦
- بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ سيزا قاسم الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٤
- بناء الرواية، عبد الفتاح عثمان مكتبة الشباب
- بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب د. سيد حامد النساج
- البناء الفني في الرواية دكتور حسن حجاب الحازمي دار النابغة
- بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٠
- تحليل الخطاب الشعري ـ استراتيجية التناص محمد مفتاح، المركز الثقافي ، الدار البيضاء الطبعة الثانية ١٩٨٦
- تداخل الأجناس الأدبية وأثرها الجمالي في النص المسرحي العربي، حيدر على الأسدي، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٨
- تقنيات الخطاب السردي بين الرواية والسيرة الذاتية دراسة موازنة، أحمد عزي صغير، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن ٢٠٠٤م

- جماليات المكان، جاستون باشلار ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الأولى١٩٧٣
- جماليات النص السردي، رؤية نقدية في أعمال أمين يوسف غراب د. عادل نيل، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٥
- الرواية الآن، دراسة في الرواية العربية المعاصرة، د.عبد البديع عبدالله، مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٩٠
- سيمولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون ت سعيد بنكراد، دار الحوار ط الأولى٢٠١٣
- شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي) جميل حمداوي الطبعة الثانية سنة ٢٠١٦
- عتبات النص في الرواية العربية ، د. عزوز علي إسماعيل، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٢
- العتبات النصية في رواية أنثى السراب لواسيني الأعرج، ابتسام جيلالي، جامعة الجيلاني.
- عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، الدار العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨
- فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت
- في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبدالملك مرتاض المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ١٩٩٨
- المعجم الأدبي جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ،ط الأولى بيروت ١٩٧٩
- معجم المصطلحات الأبية المعاصرة، سعيد علوش دار الكتاب اللبناني ط أولى

١٩٨٥

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة ، كامل المهندس، مكتبة لبنان
- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٢ .
- النص والنص الموازي د. حسن حجاب الحازمي، كرسي الأدب السعودي ٢٠١٨

ثالثا: الدوريات:

- جماليات الزمن في الرواية الإماراتية، بشرى عبدالله، منشورات ضفاف ٢٠١٦
- الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة (المدينة الفاسدة)، قراءة في رواية ممر الفئران، مجدولين المساعفة، جرش للبحوث والدراسات، المجلد ٢٣ العدد ٢ ، ٢٠٢٢
- الرؤية التنبؤية للشتات العربي في رواية شآبيب لأحمد خالد توفيق، مقال لمحمود سمير بن جالون منشور في مجلة المحطة الإليكترونية بتاريخ ٨ يونية سنة ٢٠٢١م
- رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق دراسة تحليلية نقدية د. منتصر صديق مجلة الزهراء العدد الحادي والثلاثون ٢٠٢١
- ضمائر السرد في الخطاب متعدد الأصوات، نذير جعفر جريدة الثورة دمشق مقال بتاريخ ٢٠١٠/٣/٢٣
- العجائبي في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق للباحثة الجزائرية أحلام الواج، مجلة الخطاب والتواصل المجلد الثاني العدد الثامن نوفمبر ٢٠٢١

- عتبات النص، قراءة في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، للباحثة إيمان بسيوني كلية الآداب جامعة طنطا العدد الخامس والأربعون ٢٠٢١
- الفانتازيا: آليات السرد والتشكيل في روايتي يوتوبيا لـ (توماس مور) وأحمد خالد توفيق دراسة نقدية مقارنة للباحثة هانم محمد حجازي كلية الآداب جامعة الفيوم العدد الأول المجلد الثاني عشر سنة ٢٠٢٠
- المكان الروائي في أعمال محمد جبريل د. سمية الشوابكة سلسلة حكايا٣
- ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق، د. محمود أبو زهرة مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد التاسع والثلاثون ٢٠٢١

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الملخص باللغة العربية	١١١٥
الملخص باللغة الانجليزية	١١١٥
تقديم	١١١٥
تمهيد	١١١٥
المبحث الأول : عتبات النص	١١١٥
المبحث الثاني: الشخصيات	١١١٥
المبحث الثالث: الزمن	١٠٧٧
المبحث الرابع: المكان	١١١٥
المبحث الخامس: اللغة والأسلوب	١٠٩٥
الخاتمة	١١٠٩
المصادر والمراجع	١١١١
الفهرس	١١١٥